الفصل الخامس

الفـــروق الريفيـــة الحضـــرية

اولا : تصنيف المجتمعات : الثنائيات

اهتم علماء الاجتماع بالفروق الملحوظة والقائمة بين المدينة والريف ، كما بذلوا جهودا علمية متباينة لوضع نظريات حول هذه الفروق . وادرك الفلاسفة فى العصور القديمة أيضا أن المدينة تختلف اختلافا كبيرا — فى اوجه النشاط الاقتصادى الاساسية — عن الريف المحيط بها . ولكن الجهود الحقيقية والمنظمة التى بذلت لوصف وتفسير هذه الاختلافات جاءت متأخرة ، حيث لانستطيع ان نعين بداية حقيقيـــة لهـــا الا فى عصر المفكر العربى **ابن خلدون** فى القرن الرابع عشر . فقد كتب بن خلدون فصولا منظمة فى التمييز بين البدو والحضر وذلك فى الباب الثانى من المقدمة والمعنـــون « فى العمران البدوى والأمم الوحشية والقبائل ، وما يعرض فى ذلك من الاحوال » ، وفيه فصول وتمهيدات . ولقد أرجع ابن خلدون الفروق بين البدو والحضر الى الفروق فى مصادر الانتاج والمهنة أساسا ، فكتب فى الفصل الأول من الباب الثانى « اعلم ان اختلاف الأجيال فى احوالهم انمـــا هو باختلاف نحلتهم من المعاش ، فان اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضرورى منه ونشيط قبل الحاجى والكمالى ، فمنهم من يستعمل الفلح من الفراسة والزراعة ، ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واســـتخراج فضلاتها ، وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولابد الى البدو لأنه متسع لما لايتسع له الحواضر من المزارع والفدن والمسارح للحيوان وغير ذلك ، فكان اختصاص هؤلاء بالبدو أمرا ضروريا لهم وكـــان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم فى حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن

والدفء انما هو بالمقدار الذى يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك ، ثم اذا اتسعت احوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم مافوق الحاجة من الغنى والرفه ، دعاهم ذلك الى السكون والدعة ، وتعاونوا فى الزائد على الضرورة ، واستكثروا من الاقوات والملابس والتأنق فيها ، وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر » . (١)

ويتضح من ذلك أن بن خلدون يصنف اشكال الاستيطان البشرى الى نموذجين على اساس وجوه المعاش والكسب ، ويؤكد دائما أن اهل البدو (وهم يضمون الزراعة ايضا) « هم المنتحلون للمعاش الطبيعى من الفلح والقيام على الانعام » . وفضلا عن ذلك ، فقد أثبت « ان البدو اقدم من الحضر وسابق عليه ، وان البادية أصل العمران والأمصار مدد لها » . (٢)

وبعد مرور عـــدة قرون على آراء بن خلدون ، جـــاء جيوفانى بوترو Botero ليدرس هذه الفروق من منظور مختلف فى مؤلفه الانطباعى « عظمة المدن » . كما نجد عند هربرت سبنسر Spencer ما يتصـــل بهذه القضية ايضا ، ففى آرائه حول المجتمع ومراحل التطور الاجتماعى ، ذهب الى أن المجتمع يتطور من حالة التجانس الى حالة اللاتجانس . وأن الحقيقة الرئيسية للتطور تتمثل فى الحركة من المجتمعات البسيطة الى المستويات المختلفة من المجتمعات المركبة . فالمجتمع المركب انبثق عن المجتمع البسيط ، ومركب المركب عن المركب ، ومركب مركب المركب عن مركب المركب . ويتكون المجتمع البسيط من الأسر ، أما المركب فيتكون من أسر تتحد فى عشـــائر clans يتوكون مركب المركب من عشائر تتحد فى قبائل tribes ، بينما يتكون مركب مركب المركب (كمجتمعاتنا) من قبائل تتحد فى أمم أو دول . وكلما تعاظم الحجم تعاظم البناء وتطور ، وتطورت كذلك الفروق فى القوة والمهن ، ويصاحب ذلك تباين وتفاضل

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، الباب الثانى ، الفصل الاول ، ص ١٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

فى الوظائف ومن جهة اخرى ، فان سبنسر قد ذهب الى أن المجتمع يتحول من المجتمع العسكرى الى المجتمع الصناعى . ويتميز كل من النموذجين عن الآخر ، فالتعاون الاجبارى يشيع فى المجتمع العسكرى بينما يسود التعاون الاختيارى فى المجتمع الصناعى .

وقد أوضح سبنسر فى مواضع متفرقة من أعماله انه ليست هناك ضرورة ملحة لتحول المجتمعات خلال مراحل التطور المحددة ، كما أن كل مجتمع لايشبه الآخر تماما ، فقد أكد أن هناك فروقا بين المجتمعات ترجع الى الاضطرابات التى تتدخل فى خط التطور المستقيم . وقد أورد فى مؤلفه « مبادىء علم الاجتماع » خمسة اضطرابات ممكنة هى :

١ ــ بعض الخصائص الأصلية المختلفة للأجناس .

٢ ــ وقع مرحلة التطور المتقدمة حاليا .

٣ ــ نوعيات العادات أو الطباع وخصائصها الفريدة .

٤ ــ الوضع الذى يشغله مجتمع ما فى نطاق أكبر من المجتمعات (ما اذا كان المجتمع واقعا بين مجتمعات صديقه أو عدوة) .

٥ ــ أثر اختلاط الأجناس . (٣)

وقد لاحظ دوركايم Durkheim حينما قارن بين المجتمعات القديمة والمجتمعات الأكثر تطورا ، أن الأولى تتميز بوجود نوع من التضامن الآلى Mechanical اما الثانية فيسود فيها تضامن organic ويعتمد التضامن الآلى على التماثل بين أعضاء المجتمع ، بينما يستمد التضامن العضوى أسسه من التباين . واذا كان هذا التشبيه يشبه تصور سبنسر للتطور باعتباره تغيرا من المتجانس الى اللامتجانس ، الا أن الفارق بينما يتمثل فى أن التطور لم يكن الظاهرة المحورية عند دوركايم . كما أن التعارض بين المجتمعين العضوى والآلى يعتبر بمثابة خلفية تبطن دراسته للظواهر الجمعية .

---

(٣) عن تيقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع . طبيعتها وتطورها ، ترجمة محمود عوده وزملاؤه ، دار المعارف ، القاهرة ، ط (٥) ، ١٩٧٨ ، ص ص ٧٣ ــ ٧٥ .

وحين يسود فى المجتمع تضامن آلى ، يتميز الضمير الجمعى بقوة ملحوظة . ويشير الضمير الجمعى الى المجموع الكلى للمعتقدات والعواطف العامة بين معظم أعضاء المجتمع ، والتى تشكل نسقا له طابع متميز . ويكتسب هذا الضمير العام واقعا ملموسا ، فهو يدوم خلال الزمن ، ويدعم الروابط بين الأجيال . ويؤكد دوركايم أن الضمير الجمعى يعيش بين الأفراد ويتخلل حياتهم ، الا انه يكتسب مزيدا من القوة والتأثير والاستقلال حينما يتحقق نوع من التماثل الواضح بين أفراد المجتمع ، ذلك أن الضمير الجمعى يعد نتاجا للتماثل الانسانى . ولعل هذا هو الموقف السائد فى المجتمعات التقليدية التى تتميز بالتضامن الآلى ، حيث يسيطر هذا الضمير العام على عقول الأفراد وأخلاقياتهم .

ويصاحب نمو تقسيم العمل فى المجتمع ظهور التضامن العضوى . فتقسيم العمل وما يترتب عليه من تباين الأفراد يعمل على تدعيم نوع من التساند المتبادل فى المجتمع . وينعكس هذا التساند المتبادل على العقلية الانسانية والأخلاقيات ، كما انه يتبدى فى ظاهرة التضامن العضوى ذاتها . وكلما ازداد هذا التضامن رسوخا ، قلت أهمية الضمير الجمعى . ويزداد التضامن العضوى رسوخا بازدياد تقدم المجتمعات ، وتدعيمها للتقدم الأخلاقى الذى يؤكد القيم العليا والحرية والاخاء والعدالة . وبالاضافة الى ذلك يصبح للتعاقد قيمة عالية (٤) .

ولقد زخرت الكتابات السوسيولوجية بالمخططات والمشروعات التى تستهدف تصنيف العلاقات الاجتماعية . وهى تتباين فيما بينها تباينا كبيرا من حيث درجة التعقيد ، والدقة ، والشمول . وربما كانت أفضلها جميعا محاولة شارلز كولى Cooley التمييز بين العلاقات الأولية والعلاقات الثانوية (٥) . والعلاقة الأولية فى رأى كولى هى تلك التى يسيطر عليها الارتباط والتعاون المباشر العميق . ويصبح الأفراد بفضلها أكثر اتصهارا فى كيان مشترك .

---

(٤) المرجع السابق ع ص ١٢٢.

(٥) Charles H. Cooley, Human Nature and the Social Order, N.Y., Scribner, 1902

ومن الواضح أن هناك تمييزا يجب أن ننتبه اليه عند وصف اى علاقة اجتماعية ، هو التمييز بين الجوانب الكمية والجوانب الكيفية لتلك العلاقة . وتتضمن العناصر الكمية فى المقام الأول : عدد الأشخاص المشتركين فى نسق الفعل ، وتركزهم أو انتشارهم فى منطقة جغرافية معينة ، ودرجة كثافة تفاعلهم مع بعضهم بعضا ، والاستمرار النسبى للارتباط بينهم .

اما الجوانب الكيفية للتفاعل فالاتفاق حولها اكثر صعوبة من هذا . وقد حدد كنجزلى دافيز Kingsley Davis خمس سمات يمكن الاعتماد عليها — اذا أضيف اليها بعض المعلومات عن الجوانب الكمية (التى يسميها « الظروف المادية) » — كأساس لتمييز العلاقات الأولية عن العلاقات الثانوية . ويقدم دافيز أمثلة لتلك العلاقات على المستوى الثنائى ، وعلى مستوى الجماعة الكبيرة ، وذلك على نحو ما يبدو فى الجدول التالى : *

---

* المصدر :
Kingsley Davis, Human Society, N.Y., MacMillan, 1957, p. 306.
نقلا عن اليكس انكلز ، مقدمة في علم الاجتماع ، ترجمة وتقديم الدكتور محمد البوهرى وزملاؤه ، دار المعارف ، القاهرة ، ط (٤) ، ١٩٨٠ ، ص ١٤٦ .

العـــلاقات الأوليـــة

الظروف المادية	السمات الاجتماعية	نماذج للعلاقات	نماذج للجماعات
التجاور المكانى	تماثل الغايات	الصديق ــ بالصديق	جماعة اللعب
العدد الصغير	التقويم الداخلى للعلاقة	الزوج ــ بزوجته	الأسرة
الاستمرار الطويل	التقويم الداخلى للأشخاص الآخرين	الأب ــ بابنه	القرية أو جماعة الجوار
	الشعور بالحرية والتلقائية	المدرس ــ بتلميذه	فريق العمل
	تأثير وسائل الضبط الرسمية .		

العلاقات الثانوية

الظروف المادية	السمات الاجتماعية	نماذج للعلاقات	نماذج للجماعات
الاتساع المكانى	تباين الغايات	البائع — والعمل	الأمة
العدد الكبير	التقويم الخارجى للعلاقة	المذيع — والمستمع	الاكليريكية
الاستمرار القصير	التقويم الخارجى للأشخاص الآخرين	الممثل — والمتفرج	الاتحاد المهنى
	المعرفة الخاصة والمحدودة بالآخرين	الضباط — وجنوده	الشركة
	الشعور بالقيود الخارجية	المؤلف — والقارىء	
	تأثير وسائل الضبط الرسمية		

ولقد شغلت الفروق الريفية ــ الحضرية اذهان كثير من علماء الاجتماع المشهورين حيث نجد مين Maine يطور ثنائية نظرية تقابل بين مجتمع يقوم على أساس المكانة Status وآخر ينبنى على التعاقد Contract . كما يعرض دوركايم ثنائية تقابل بين مجتمع يشيع فيه التضامن الآلى mechanical وآخر يسود فيه التضامن العضوى organic solidarity ويطرح تونيز Tonnies مقابلة بين مجتمع تشيع فيه روابط القرابة والعلاقات الاوليه Gesellschaft وآخر تسود فيه علاقات المصلحة والتعاقد Gemeinschaft كما يعرض بيكر Becker ثنائية تقابل بين مجتمع مقدس sacred وآخر علمانى Secular كما حدد ردفيلد Redfield خصائص المجتمع الشعبى folk society لكى تقابل خصائص المجتمع الحضرى .

ثانيا : نقد فكرة الثنائيات : (٦)

يقرر بوتومور Bottomore أن اول ما يمكن ملاحظته على هذه الثنائيات هو قصورها عن استيعاب مختلف انماط المجتمعات الانسانية التى نوجد بالفعل أو التى وجدت من قبل مراحل تاريخية معينة . واذا امعنا النظر فى هذه الثنائيات ، لاحظنا وجود شبه بينها . فهؤلاء العلماء يقابلون بين نمط معين من المجتمعات تسيطر فيه الجماعة على الفرد وترسم له موقفا ثابتا لايتغير أبدا بنمط آخر من المجتمعات يعبر فيه الفرد عن نفسه ويتمتع فيه باستقلال يمكنه من اجراء حسابات عقلية ، والدخول فى علاقات تعاقدية مع الأفراد الآخرين . ومع ذلك فهناك اختلافات هامة بين هؤلاء العلماء فيما يتعلق ببعض التفاصيل . فهم يختلفون فى معالجتهم لكيفية حدوث التغير وفى تقييمهم لهذا التغير . بيد أن ذلك لايؤثر على القضية الاساسية التى أشرنا اليها قبل قليل ، وهى أن هذه الثنائيات تنطوى على تشابه لايمكن اغفاله . ويعود ذلك فى حقيقة الأمر الى تأثر هؤلاء العلماء بخصائص المجتمعات الصناعية التى عاشوا فيها ، مما جعلهم يلجأون الى المقابلة بين

---

(٦) اعتمدت في هذه النقطة على ماورد عند بوتومور ، انظر : بوتومور ، تمهيد في علم الاجتماع ، ترجمة الدكتور محمد الجوهرى وزملاؤه ، دار المعارف ، القاهرة ، ط (٣) ، ١٩٧٨ ، ص ص ١٤ ومابعدها .

المجتمعات الصناعية الحديثة وكل المجتمعات الانسانية الأخرى . والمؤكد أن هذه المقابلة كانت — من وجهة نظرهم — هى أعظم محاولة لاقامة تفرقة بين المجتمعات .

ويبدو ذلك أوضح ما يكون فى أعمال تونيز وبعض علماء الاجتماع الذين أتوا من بعده . فالتفرقة التى أقامها تونيز بين « المجتمع المحلى » و « المجتمع » ، ما هى الا تفرقة بين المجتمعات الراسمالية الحديثة الرشيدة القائمة على التعاقد وكل المجتمعات السابقة على الراسماليه . ولقد تكرر ذلك فى مؤلف زيمل Simmel « فلسفة النقود » (١٩٠٣) الذى تناول فيه الخصائص الثقافية المميزة للمجتمع الموجه نحو تحقيق أقصى درجات الانتاج وجمع أكبر قدر من الثروة والملاحظ أن زيمل قد تأثر فى مؤلفه هذا بكتابات ماكس مثير Weber التى اهتم فيها باراز الترشية المتزايد الذى طغى على الحياة الاجتماعية الحديثة . وقد نتفق مع هؤلاء العلماء حول السمات الهامة المميزة للمجتمعات الصناعية ، ولكننا لانستطيع قبول تصنيفهم الذى يضع كل انماط المجتمعات الأخرى فى فئة او مقولة واحدة .

ولقد كان من الطبيعى أن يدرك كل من سبنسر ودوركايم أن المجتمعات يمكن أن تخضع لتصنيفات من نوع مختلف . لذلك نجد سبنسر يميز بين أربعة انماط من المجتمعات هى : (١) مجتمعات بسيطة ، (٢) مجتمعات معقدة ، (٣) مجتمعات أشد تعقيدا ، (٤) مجتمعات بالغة التعقيد . وعلى الرغم من أن سبنسر قد استند فى تمييزه بين هذه الأنماط من المجتمعات الى بعد النطاق (أو الحجم) ، الا انه اخذ فى اعتباره أيضا عند اقامة هذا التمييز أبعادا اخرى مثل درجة تقسيم العمل ، ومدى وضوح التنظيم السياسى ، وتوافر تسلسل رئاسى دينى ، ووجود تدرج اجتماعى محدد .. الخ .. ويبدو قصور هذا التصنيف واضحا اذا ماعلمنا أن الانماط الثلاثة الأولى من المجتمعات لاتشتمل الا على المجتمعات البدائية ، بينما يستوعب النمط الأخير كل المجتمعات المتحضرة ، التى تضم — كما يقول سبنسر — المكسيك القديم ، والمملكة الآشورية ، والامبراطورية الرومانية ، وبريطانيا العظمى ، وفرنسا ، والمانيا ، وايطاليا ، وروسيا . ولقد أقر سبنسر بأن تصنيفه يتعارض مع التفرقة التى اقامها بين المجتمعات العسكرية والمجتمعات الصناعية ، لذلك نجده بعد ذلك يقدم تصنيفا مركبا يشتمل على ثمانية انماط

من المجتمعات ، ذاهبا الى أن اقامة انماط « خالصة » يعد مطلبا صعبا نظرا لعوامل عديدة من بينها البقايا او المخلفات وامتزاج السلالات .

كذلك قدم دوركايم تصنيفا مماثلا لتصنيف سبنسر ، وان كان قد انتقد تصنيف سبنسر . فلقد ميز دوركايم بين مجتمعات بسيطة (مثل العشيرة) ومجتمعات انقسامية متعددة (مثل قبائل الايروكوا Iroquois) ومجتمعات انقسامية متعددة بسيطة التركيب مثل اتحاد قبائل الايروكوا والقبائل الثلاث التى كونت روما ، ومجتمعات انقسامية متعددة معقدة (مثل المدن القديمة والقبائل الجرمانية) . واذا كان دوركايم لم يذهب الى ابعد من هذه الامثلة ، الا ان موريه Moret و دافى Davy قد ما فيما بعد تصنيفا أكثر وضوحا ، استندا فيه الى حجم المجتمعات وتباينها الداخلى ، وعرضاه فى مؤلفهما : « من القبيلة الى الامبراطورية » .

وبالرغم من الأهمية النظرية التى قد تنطوى عليها الثنائيات ، الا ان كثيرا من دارسى التحضر يرون أنها لاتمثل سوى وسيلة مبدئية يصعب الاعتماد عليها كلية فى التميز بين الريف والحضر ، لأنها تغفل عاملا هاما من عوامل تشكيل هذه المجتمعات هو التغير . ولعل ذلك يفسر لنا كثرة التحفظات التى اثيرت حول ثنائية « ريفى ــ حضرى » فى كثير من الكتابات المتعلقة بهذا الموضوع . فسوروكن Sorokin وزيمرمان Zimmerman يذهبان الى أن « التحول من المجتمع المحلى الريفى الخالص الى مجتمع حضرى لايتم فجأة ، ولكنه يحدث بشكل تدريجى .. فليس ثمة خط أوحد مطلق يستطيع ان يكشف انا عن وجود فارق حاد بين المجتمع الريفى والمجتمع الحضرى » (٧) . كذلك عرض هوراس ماينر Miner لعدد من الانتقادات التى يمكن ان توجه الى فكرة الثنائية الريفية ــ الحضرية لعل اهمها عدم الملائمة بين الشواهد الواقعية المتعلقة بمجتمعات معينة وطبيعة المجتمعات التى يمكن توقع جودتها من خلال النموذج المثالى ، وكذلك مشكلة تحديد خصائص النماذج المثالية ذاتها ، واخيرا القيمة النظرية المحدودة التى

---

(٧) Sorokin & Zimmerman, Principles of Rural Urban Sociology, N.Y. Henry-Holt & Co., 1929, p. 14.

تنطوى عليها الثنائية (٨) . ولقد عبر نيل جروس Gross من ذلك بشكل آخر حين أكد ضرورة اعادة اكتشاف عدم كفاءة الثنائية الريفية الحضرية (٩) .

وازاء فشل فكرة الثنائية سلك علماء الاجتماع سبلا شتى فى دراساتهم لموضوع الفروق الريفية الحضرية وفى محاولاتهم التمييز بين الريف والحضر ، فمنهم من تبنى محكا واحدا حاول أن يميز على أساسه بين المجتمع الريفى والمجتمع الحضرى . ومنهم من تبنى عدة محطات فى وقت واحد لكى يشخص فى ضوئها المجتمع الريفى والمجتمع الحضرى . وهناك أخيرا من ادرك عيوب هذين الأسلوبين واتجه الى فكرة المتصل الريفى الحضرى . وسوف نعرض لكل اتجاه من هذه الاتجاهات بشىء من التفصيل فيما يلى . ثم نقيم الدليل فيما بعد على ان هذا الموضوع مايزال فى حاجة الى مزيد من الدراسة والاهتمام ، وأن مشكلاته لم توفق بعد الى حل مقبول . وتتقدم هذه الدراسة رؤية جديدة تقوم على الاعتماد دراسات التغير الثقافى فى خدمة قضية الفروق الريفية الحضرية .

ثالثا — استخدام المحك الواحد فى التمييز بين الريف والحضر

يقوم هذا الاتجاه على الرجوع الى محك واحد فى التمييز بين المجتمع الريفى والمجتمع الحضرى . وابرز محك استخدام فى هذا الاتجاه يقوم على أساس الحجم أو عدد السكان من هذا مثلامايراهتيزديل Hope Tisdale من أن التحضر هو « عملية التركيز السكانى » وهى عملية تجرى بطريقتين : تتمثل احداهما فى تعدد نقاط التركز . أما الثانية فتتمثل فى نمو التركز القروى ومما يتسق مع هذا الاتجاه انه يمكن تعريف المدن بأنها مناطق التركيز السكانى (١٠) . وقد أشار جيرتز الى ان جوليان ستيوارد اعتبر المهنة

---

(٨) H. Miner, The Folk-Urban Continuum, in Paul Hatt & Albert Reiss, Cities and Society, The Free Press of Glencoe, Inc., N.Y., 1961, pp. 46-64.

(٩) N. Gross, Sociological Variations in Contemporary Rural Life, Rural Sociology, 13, 1948, pp. 256-269.

Tisdale, H., The Process of Urbanization, Social Forces, 1940, 20, p. 311

(١٠) نقلا من جوبرج « الفروق الريفية الحضرية . دراسة فى علم الاجتماع الريفى » ترجمة الدكتور محمود عودة فى المصدر الذاتى : محمد الجوهرى وآخرين ، ميادين علم الاجتماع ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٠ ، ص ص ٦٢ — ٦٣

أساسا وحيدا للتصنيف والتمييز بين الريف والحضر ، وأن وتفوجل Wittfogel قد استخدام القوة أو السلطة كأساس لهذا التمييز . ومع ذلك فان حجم المجتمع هو المحك الوحيد الذى يشيع استخدامه بدرجة واسعة فى التمييز بين الريف والحضر (١١) . ونجد تطبيق هذا المحك على نطاق واسع بين علماء السكان ، من أمثال الدردج وكثيرين غيره .

ومن الواضح أن استخدام هذا المحك قد سهل كثيرا عملية القياس والمقارنة . ولقد ظهرت نتائج ذلك جلية فى كثير من الدراسات التى ظهرت حديثا . الا أن هذا الاتجاه يعانى من نقاط ضعف شديدة وواضحة . فلقد كان أصحاب هذا الاتجاه يستعينون دائما بمحكات أخرى بالاضافة الى حجم المجتمع عندما يحللون بياناتهم من منظور حضارى مقارن دون أن يشيروا الى ذلك بوضوح وجلاء . فالمجتمعات التى تقع فى الفئة السكانية من خمسة آلاف الى عشرة آلاف قد تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا طبقا للاطار الاجتماعى الذى تنتمى اليه ، أو طبقا لانتمائها الى مجتمع لم يمارس الصناعية بعد ، وآخرون يتحول اليها ، وثالث متقدم فى مجالها . ولقد اعترف تيزديل والدردج بذلك ضمنا حيث لاحظا أن التقدم التكنولوجى يساعد على التركز السكانى ، وهو ما يعنيانه بالتحضر .

رابعا : استخدام المحكات المتعددة فى التميز بين الريف والحضر (١٢)

استخدم عدد من علماء الاجتماع مثل سوروكين وزيمرمان ، وردفيلد ، وورث المحكات المتعددة فى التمييز بين المجتمعات الريفية والحضرية ، ولقد ميز سوروكين وزيمرمان بين الريف والحضر وفقا للأسس التالية :

١ ــ الفروق المهنية .
٢ ــ الفروق البيئية .
٣ ــ حجم المجتمع .

---

(١١) Geertz, C., «Studies in Peasant life : Community and Society», in B.J. Siegel (ed.) Bienial Review of Anthropology, 1961, Stanford, Stan. Univ. Press, 1962, pp. 1-41.

نقلا عن جوبرج ، المرجع السابق ، ص ٦٢.

(١٢) اعتمدت في عرض هذه الفقرة على ما قدمه جوبرج في المرجع السابق ، ص ص ٦٠ وما بعدها .

٤ ــ كثـــافة الســـكان .

٥ ــ تجانس السكان أو تباينهم . وذلك من حيث الخصائص النفسية والاجتماعية ، واللغة والمعتقدات ، وانماط الســـلوك

٦ ــ الفروق فى شـــدة الحراك الاجتماعى .

٧ ــ الفـــروق فى اتجـــاه الهجـــرة .

٨ ــ شكل التباين الاجتماعى .

٩ ــ أنســـاق التفـــاعل .

ومن هنا نلاحظ أن سوروكين وزيمرمان قد وضعا فى اعتبارهما ليس حجم المجتمع فقط وطبيعة البيئة ، وانما وجها اهتمامهما ايضا الى العوامل الاجتماعية الصارمة كالتجانس والتباين والتفاعل . الا أن هذه الصـــياغة الى قدماها تعد صياغة تصنيفية الى حد كبير ، حيث لاتتضمن متغيرات واضحة بارزة يمكن استخدامها فى تفسير وجود الفوارق بين القطاعات الريفية والقطاعات الحضرية . أى أن صياغتهما تبرز الفوارق وتصنفها ، ولكنها لا تتعمق فى أسباب وجودها .

أما ويرث وريدفيلد فقد اعتقدا أن المدنة مسئولة الى حد كبير ، أو متغير رئيس فى تفسير ظواهر اجتماعية معينة ومنها الفروق الريفية الحضرية .

ويتمثل اســـهام ويرث فى معالجته لموضوع « الحضرية » بوصـــفها اسلوبا للحياة ، الا ان اسهامه هذا يعد جهدا نظريا أساسا ، بينمـــا طور ردفيلد ثنائية تقابل بين مجتمع شعبى Folk Society وآخر حضرى . ولقد فصل ردفيلد صياغته هذه من خلال دراساته الحقليه لاربع مجتمعات محلية فى مقاطعة يوكاتان Yucatan فى المكسيك تضم قرية صغيرة تسيطر عليها الثقافة الشعبية وغير العلمية الى درجة كبيرة ، ومجتمعا قرويـــا صغيرا ، ومركزا حضريا صغيرا Town ومدينة مردا Merida

واذا ما استعرضنا اعمال ويرث وردفيلد بطريقة مقارنة ، لوجـــدنا أن المدينة كانت محور الاهتمام الرئيسى لويرث ، ولم يكن لديه المعلومات

الكافية التحدث عن الشكل الريفى أو الشعبى . بينما كان المجتمع القروى أو البسيط أو الشعبى المحور الأساس لاهتمـــام ردفيلد .

ويرى ويرث أن المدينة تتميز عن الريف بعدة خصائص يمكن وضعهـــا فيما يلى :

١ ــ الحجـــم الكبير .

٢ ــ شـــدة الكثافة .

٣ ــ النمو المصحوب بظهور نظام علمانى وانهيار النسيج المعيارى والأخلاقى .

٤ ــ اللاتجانس .

٥ ــ شيوع الضوابط الاجتماعية الرسمية .

٦ ــ سيادة الضوابط الاجتماعية الرسمية .

أما الحضرية Urbanism فى رايه ــ وبوصفها أسلوبا للحيـــاة ــ فهى نوع من الوجود متحرك ومائع Fluid

ويلخص ردفيلد موقفه النظرى فى أن « عزلة المجتمع وتجانسه يعدان معا متغيرين مستقلين . أما تكامل الثقافة أو تفككها ، والعلمانية ، والفردية فهى متغيرات تابعة » . ومعنى ذلك أن فقدان العزلة ونمو الاتصـــــال انما تعد اسبابا للتفكك ، والعلمانية ، والفردية ، ولكن ليس معنى ذلك أن العزلة والتجانس وحدهما مسئولان عن النتائج المترتبة جميعا كتكامل الثقافة وتداستها والاتجاهات الجمعية وما الى ذلك . ولقد عرض ردفيلد فى مقال لاحق ، لخصائص المجتمع الشعبى بوصفه مجتمعا صـــغيرا ، منعزلا ، أميا ، متجانسا ، يسوده شعورا بالتضامن الجماعى .

ولقد تحدث لين سميث Lynn Smith فى كتابه الموسوم « سوسيولوجيا الحياة الريفية » (١٣) . عن خصائص المجتمع الريفى ، ومن ذلك ما يلى :

---

(١٣) Lynn Smith, The Sociology of Rural Life, Harper, N.Y., 1947, pp. 16-38.

١ ــ **المهنة** : يعتمد المجتمع الريفى على الاقتصاد الزراعى فى اساسه ، وهو ما يميزه بصفة رئيسية عن المجتمع . ومعروف ان للمجتمعات التي تعيش على الاقتصاد الزراعى خصائص عامة اجتماعية وثقافية ونفسية تميزها عن غيرها من المجتمعات . الا ان هــذا المجتمع ــ الزراعى ــ يتفاوت فى داخله من جزء لاخر ومن منطقه لأخرى .. ويعتمد هذا التفاوت داخل المجتمع الريفى الواحد على :

حجــم المزارع ، وطريقة الزراعة ونوع الزراعة ، وغير ذلك من العوامل (كقربها من مناطق التســويق ، أو تمتعها بخصائص جغرافية معينة، او تمتع اهلها بمهارات معينة فى تصنيع منتجاتهم الزراعية .. الخ). ونلاحظ انه برغم الاختلاف الذى تؤدى اليه العوامل الســالفة الذكر ، فان للمجتمع الريفى خصائص عامة ناتجة عن اقتصاده الزراعى ومرتبطة به.

٢ ــ **حجم المجتمع** : ادى الاقتصاد الزراعى وما يرتبط به من عمليات الى ايجاد مجتمعات ريفية صغيرة الحجم نظرا لظروف الزراعة الخاصة . ويرتبط بهذا كذلك انخفاض الكثافة السكانية . ولذلك كان عامل حجم المجتمع أو عــدد السكان يلى عامل المهنة فى التمييز بين المجتمعــات الريفية والحضرية . فالمجتمعات الريفية ترادف المجتمعات الصغيرة الحجم القليلة العدد،وترادف المجتمعات الحضرية المجتمعات الكبيرة الحجم الوفيرة العدد.

٣ ــ **كثافة السكان** : فالكثافة السكانية تنخفض انخفاضا كبيرا فى المجتمع الريفى عنها فى المجتمع الحضرى ، ويعتبر هذا العامل من اهم عوامل التمييز بين الريف والحضر . وتؤدى اليه بالدرجة الأولى متطلبات العمل الزراعى وظروفه الخاصة .

٤ ــ **البيئة** : فالبيئة الطبيعية اكثر واشد وضوحا فى الريف عنها فى المدن . وان كان تعامل الريف المباشر مع الطبيعة يكسبه بعض المميزات (كالشمس ، والهواء النقى .. الخ) فانه يفتقر فى نفس الوقت الى ضوابط البيئة الاجتماعية للتحكم فى هذه البيئة الطبيعية (كتكييف الهواء والتدفئة .. الخ .فالخلافات بين البيئتين خلاف اساسى وجوهرى . مع مراعاة أن التعامل

المباشر مع البيئة الطبيعية فى الريف والتعامل مع بيئة منضبطة فى المدن يؤدى الى طبع كل من يعيش فى البيئتين بخصائص وطباع خاصة .

٥ ــ **التفاوت الاجتماعى** . Social Differentation : ويقصد به التفاوت فى البيئات والأوساط الاجتماعية .. وتزداد حدة هذا التفاوت ويعظم خطره فى المدن التى تضم اشتاتا من ثقافات مختلفة سواء على المستوى المحلى أو على المستوى العالمى . ويصل الأمر الى حد الاختلاف فى الوان البشرة والمعتقدات الدينية والمذاهب السياسية واللغات كذلك . وأوضح مثال على ذلك المدن الأمريكية وخاصة على نحو ما كانت عليه أوائل هذا القرن . (ويلاحظ عندنا فى مصر هذا التفاوت الاجتماعى بين سكان المدن ولكنه بالطبع على المستوى المحلى فقط) .

وبرغم هذا التفاوت الشديد بين سكان المدن يزداد التكامل والتفاعل بينهم عن ذلك الموجود بين أهل الريف ويرجع ذلك بالطبع الى التخصص وتقسيم العمل الذىجعل مختلف الأفراد ثم الأجهزة التى تضم هؤلاء الأفراد ــ مهما كان بينهم من اختلاف أو تفاوت ــ أعضاء فى جهاز واحد ، ويرتبطون فيما بينهم ارتباطا عضويا وثيقا للغاية .

وعلى العكس من هذا نرى المجتمع الريفى أفراده أقل تفاوتا فيما بينهم ، والتشابه بينهم كبير الى حد بعيد . ولكن التفاعل والاندماج لا يرقى الى مستوى التفاعل والاندماج فى المجتمع الحضرى لأن الآخر ناشىء عن الاختلاف الذى أدى الى تقسيم العمل ، فأحدث ترابطا عضويا . أما تماثل المجتمع الريفى فيرجع الى التماثل الشديد بين أفراده من حيث التربية والدين واللغة،والمذهب الفكرى.. الخ . فالمجتمع الريفى هو حاصل جمع وحدات صغيرة وليس محصلة التفاعل بينها كما هو الشأن فى المجتمع المصرى .

٦ ــ **التقسيم الطبقى الاجتماعى** : يختلف البناء الطبقى الاجتماعى الموجود فى الريف عن ذلك الموجود فى المدن . ويبدو أن هناك على الأقل فروقا رئيسية أربعة بين الهرم الاجتماعى فى كل من الريف والمدن .

(أ) تقل عدد الطبقات الاجتماعية فى المجتمع الريفى عنها فى المجتمع

الحضرى ، على الرغم من أن المجتمع الريفى ليس بالمجتمع الخالى من الطبقات .

(ب) فى المجتمع الريفى تضيق المسـافة بين قمة الهرم الطبقى وقاعدته ، على خلاف الوضع فى المجتمع الحضرى .

(جـ) وليس مجال الطبقات الاجتماعية فى المجتمع الريفى أقل فحسب من ذلك الموجود فى المجتمع الحضرى ، بل أن الطبقات الريفية تميل الى الاتجاه نحو الوسط ، أو تميل الى أن تكون « طبقات متوسـطة » فالطبقات الريفية لاتتجه الى التركز عند قمة الهرم الطبقى أو قاعدته على نحو مايمكن ان يحدث فى الحضر . وعلى الرغم من التفاوت الكبير بين المكانات الاجتماعية لسكان الريف ، فان المجتمع الريفى قل أن تجد فيه أمثلة للثراء الفاحش أو الفقر المدقع التى يمكن أن نجدها جنبا الى جنب — وبشىء من الكثرة فى المجتمعات الحضرية . فالمدن تأوى أصحاب الملايين كما تضم أفقر الفقراء . والمدن الرأسمالية هى أنسب الأوساط التى تتيح للأغنياء ان يزدادوا ثراء وتعرض الفقراء لأن يزدادوا فقرا .

(د) الطبقة الاجتماعية الجامدة Caste قليلة الوجود فى المجتمع الريفى والحضرى على السواء ، وان كانت الحركة الاجتماعية بين الطبقات المختلفة أقل حدوثا فى المجتمع الريفى بسبب معرفة جمهرة ابناء المجتمع لأصل كل فرد فيه ووراثـه الاجتماعى بالتحديد ، مما يؤدى الى تثبيت وضعه بعض الشىء ، وهـو يخالف ما نجده فى المجتمع الحضرى ذى البناء الطبقى المرن .

٧ ــ الحراك الاجتماعى : من المتفق عليه بوجه عام أن الأوضـاع الطبقية فى المجتمع الريفى تشبه المياه الآسنة فى سكونها ، على حين يشتد الشبه بين الأوضاع الطبقية فى المجتمع الحضرى وبين المياه التى تغلى فى تقلبها وتحركها . وقد انتهى الى هذه النتائج جميع من تعرض لدراسـة المجتمع الريفى فى جميع الكتب الأساسية التى نعرفها .

ويتخذ الحراك الاجتماعى عدة صـــور منها :

(أ) الحراك الأفقى : داخل الطبقة الواحدة من جماعة اجتماعية الى أخرى .

(ب) الحراك الراسى : من طبقة اجتماعية الى اخرى فى الســـلم الاجتماعى .

(جـ) الحراك المكانى : تغيير المكان من موضع لآخر .

وقد أثبت سوروكين وزمرمان وجـــالبن Galpin فى كتابهـــم A. Systematic «Source Book in Rural Sociology», Minneapolis : Univ. of Minnecota Press, 1930, 1, pp. 226-228».

أن المناطق الحضرية تفوق المنـــاطق الريفية من حيث الحراك الأفقى أى انتقال الفرد من جماعة الى اخرى داخل طبقته الاجتماعية . وبنوا هـــذه النتيجة على اساس أن عملية تغيير المهنة أقل ماتكون بين المزارعين عن أى جماعة اجتماعية اخرى .

ومن أنواع الحراك الأفقى الأخرى الانتقال من جماعة اسرية الى اخرى ، وتدلنا على ذلك البيانات الخاصة بالطلاق والزواج من جديد . وتوضح دراسة اجريت فى هذا الصدد عام ١٩٣٠ (١٤) ، أن نسبة الطلاق فى المجتمعات الحضرية تبلغ ضعف تلك النسبه فى المجتمعات الريفية . وكانت البيانات وفقا لحجم المجتمع كما يلى :

المدن الكبرى	١٩ ٪
المدن (اكثر ١٠٠ر٠٠٠)	١٦ر٧ ٪
القـــرى	١٤ر٧ ٪
المناطق الريفية	٨ر١ ٪

١٤ W. Ogburn, «The Family and its Functions» in Recent Social Trends, N.Y., McGrow-tlill Books Co., 1933, Shap. p. 690.

ويرى أوجبرن أن أهمية نسب الطلاق فى توضيح الحراك الأفقى تظهر من أن معظم التقديرات تقدر أن حوالى ثلث عدد المطلقين يعاودون الزواج من جديد ، وهو مايؤكد مانذهب اليه فى هذا الصدد ، من ارتفاع نسبة الحراك الاجتماعى الأفقى فى الريف عنها فى المدن .

ومن قبيل الحراك الأفقى تغيير المرء لدينه . وتدل دراسة أجريت فى أمريكا على بعض طلاب جامعه مينسوتا فى الولايات المتحدة أن ٩ر٤٢ ٪ من آباء التلاميذ (الحضريين) قد غيروا دينهم ، على حين بلغت هذه النسبة بين آباء التلاميذ (الريفيين) ٣ر٣٣ ٪ فقط . (وهذه النسبة أبرز وأوضح بكثير فى مجتمعنا المصرى وفى مجتمعاتنا العربية على وجة العموم) .

أما عن الحراك الاجتماعى الرأسى فانه ترتبط — كما أوضح سوروكن وزيمرمان — أوثق الارتباط بالتحضر ، وقد ذكر خمسة من العوامل المسئولة عن هذا الارتباط كما يلى :

(أ) توجد فى المجتمع الحضرى اهم المنظمات الاجتماعية التى تعتبر وسائل للحراك الرأسى كالمؤسسات الدينية ، والقيادات العسكرية ، والقيادات السياسية ، والبرلمانات ، والجامعات . وهى المنظمات التى تعتبر سلالم لصعود وهبوط الهرم الاجتماعى . ولكى يستطيع الفرد أن تستخدم هذه الوسائل فى الصعود الاجتماعى وجب عليه أن يترك الريف ويغادره الى المدينة . ولو أن المؤلفين سالفى الذكر يعترفان بأن هناك سلما اجتماعيا فى الريف من نوع خاص ، ولكنهما يؤكدان أن « صعود السلم الاجتماعى الحضرى يرفع — أوتوماتيكيا — من وضع الفرد فى السلم الاجتماعى الريفى » وليس العكس صحيحا أو عاما كما يوضحان .

(ب) نظرا لأن التقسيم الطبقى الاجتماعى ليس كبيرا فى المناطق الريفية ، فلا تتوفر للسكان الريفيين فرص كبيرة للصعود أو الهبوط من طبقة اجتماعية الى أخرى .

(جـ) الاختلافات الطبقية فى الخصوبة ، التى ينجم عنها ضعف الطبقات العليا الحضرية ــ عدديا ــ مما يترك فراغا فى قمة الهرم الطبقى الاجتماعى فى الحضر ويؤدى بالتالى الى خلق تيار حراك اجتماعى راسى . ويضعف هذا العامل أو يختفى تماما فى المناطق الريفية حيث تقل الاختلافات الطبقية فى الخصوبة او تتلاشى كلية .

(د) من الواضح فى الحضر أن الآباء والأبناء يختلفون فى خصائصهم البيولوجية والنفسية والاجتماعية ويرجع ذلك الى تجانس السكان فى الريف وتفاوتهم وتنوعهم فى الحضر لذلك فان الأطفال الذين يولدون فاقدين لبعض كفاءات وقدرات آبائهم كثيرا ما يعجزون عن الابقاء على انفسهم فى الوضع الذى ولدوا فيه ، على حين يستطيع الأطفال الذين ولدوا مزودين بكفاءات أعظم من تلك التى كان يتمتع بها آباؤهم الصعود الى مستوى اجتماعى ارفع ، وبهذا يصبح ذلك الاختلاف بين الآباء والأبناء فى الحضر عاملا هاما بين عوامل الحراك الراسى ، الى جانب أنه يفسر تفوق المدنية على القرية فى ســـهولة الحراك الاجتماعى الراسى .

(هـ) من المعروف أن كل تغير فى البيئة الاجتماعية أو الحضارية يهيء فرصا للحراك الراسى . ومؤكد أن هذه التغيرات توجد فى المجتمعات الحضرية بدرجة أكبر من الريف .

(و) ويضيف لين سميث (ص ٣١) الى هذه العوامل الخمسة التى ذكرها كل من سروكن وزمرمان عاملا سادسا هو : أن الطبقة الاجتماعية الجامدة تبدو اقوى عودا واكثر حدوثا فى المجتمع الريفى عنها فى المجتمع الحضرى . فحيث تحدد الوراثة ــ الى حد كبير ــ المكانة الاجتماعية للفرد ، تقل فرص انتقاله من طبقة اجتماعية الى طبقة أخرى .

اما عن الحراك المكانى territorial Mobility فمن الواضح أن الهجرة تقل كثيرا حيث يتصف المجتمع بالاستقرار والجمود كما هو حال المجتمع الريفى . وقد اثبتت المعلومات التى قدمها سوروكن وزمرمان وغيرهما من الباحثين

فى الاجتماع الريفى أن سكان الحضر يتفوقون كثيرا على سكان الريف من حيث : تغيير محل اقامتهم داخل المجتمع الواحد ، والانتقال من مجتمع محلى الى مجتمع محلى آخر ، والمسافات التى يقطعونها ، والمجتمعات المحلية التى يتعاملون معها خلال اليوم الواحد .

ويؤكد لين سميث هذه التعميمات المشار اليها ويزيد عليها ، ولو أنه يشير الى التفاوت الموجود بين الجماعات الريفية المختلفة فى هذا الصدد . ذلك ان بعض النظم الزراعية تعمل على خلق قدر كبير من الحراك المكانى فى صورة انتقال من مزرعة الى اخرى . ويتضح هذا بوجه خاص فى جنوب الولايات المتحدة حيث تزداد هذه الانتقالات كثرة ووضوحا . ويعتبر هذا الحراك المكانى فى تلك المنطقة من أهم مشاكلها واخطرها على الاطلاق .

كما أن هناك قدرا من الحراك المكانى يرتبط ارتباطا وثيقا بانتاج المحاصيل كالقمح ، والفواكه ، وبنجر السكر ، .. الخ . وهى المحاصيل التى تحتاج الى أعداد كبيرة من الأيدى العاملة فى فصول محددة من السنة .

على أن هذا يمثل بالطبع الحالات الزراعية المتطرفة ذلك أن الغالبية العظمى من النظم الزراعية تربط الفلاح بالأرض ومن ثم لانجد الا قدرا ضئيلا جدا من الحراك المكانى . ويمكن أن نعثر على هذا التحديد للحراك المكانى فى المناطق التى تدخل فيها الماشية ضمن الحياة الاقتصـــادية للفلاح وتعتبر جزءا من عمله وموردا من موارد رزقه ، وحيث تزداد نسبة الملاك ، وحيث يقوم أفراد الأسرة الزراعية أنفسهم بأداء الأعمال الزراعية .

٨ ــ **التفاعل الاجتماعى** : يعتبر ضعف الصلات الاجتماعية للفلاح او انعدامها من أبرز مساوىء الحياة الريفية . على أن لين سميث يؤكد لنا أن أصحاب هذه القضية عادة ما يعجزون عن ادراك الاختلافات الكمية والنوعية فى الصلات الاجتماعية بين سكان الريف وسكان الحضر . وترجع هذه الاختلافات بنوعيها الى اختلاف نظام التفاعل الاجتماعى فى الريف عنـــه فى المـــدن .

فمن المتفق عليه ان عدد الصلات الاجتماعية يزداد كثيرا فى المدن عنه فى الريف . وذلك أن طبيعة المهن الحضرية تحتم على ساكن الحضر أن يختلط

بالاف النـــاس ، وان يرى ويسمع ويتكلم مع مئات منهم كل يوم كما ان الترويح فى المدينة لا يتم الا فى وسط جماعى قد يصل مجموعه الى الآلاف أو يتجاوزها . فالسمة الأساسية للترويح الحضرى هى الجماعية فى الممارسة والاستمتاع . فالعزلة فى المجتمع الحضرى مستحيلة من الناحية العملية . وفى داخل المسكن — الذى لا يبعد كثيرا عن مساكن الآخرين — تخلق الجرائد، والتليفزيون ، والراديو عددا كبيرا من الاتصالات الثانوية .

ويختلف الوضع عن هذا تماما فى المناطق الريفية . فحتى اليوم ما لم يكن الفلاح يعيش على طريق زراعى ، فانه نادرا ما يتعامل مع زوار اجانب فيما عدا من يمر بقريته من الباعة الجائلين الذين يعرضون سلعهم كل يوم فى قرية . ويصل الأمر فى كثير من المناطق الريفية المعزولة الى ان يثير وجود اشخاص غرباء دهشة اهل القرية ، ويصبح هؤلاء الغرباء محلا للشكوك والأقاويل . ولا يجتمع القروى باعداد كبيرة من الناس الا فى الكنيسة ، أو مواسم جمع المحصـــول ، او العروض السينمائية المتنقلة ، ولا يخرج هؤلاء المجتمعون فى كثير من الأحوال عن كونهم جيرانه وابناء قريته . وتعتبر ســفريات القروى النادرة للتسوق من المدن المجاورة هى فرصته الوحيدة تقريبا للانخراط فى مجموعات كبيرة من الناس . فالقدر الأكبر من اتصالات القروى يتم مع افراد اسرته ومع جيرانه المباشرين . ويعتبر « بقال القرية » اهم مركز اجتماعى فى الريف ، وتعتبر الاتصالات غير الرسمية التى تتم فيه من أبرز جوانب التفاعل الاجتماعى الريفى . على أن الاتصالات الثانوية — آخذه فى الزيادة المضطردة ، ولكنها لازالت اقل بكثير مما هو متوفر لساكن المدينة . وعلى وجه الاجمال فان الصلات الاجتماعية للفرد الذى يعيش فى الريف قليلة نسبيا .

وكما ان الصلات الاجتماعية فى الريف تختلف من حيث الكم فى الريف عنها فى الحضر ، فان الصلات تختلف بينهما ايضا من حيث النوع .

خامســا : نقد اســـتخدام المحكات المتعددة :

ان الانتقادات التى يمكن أن توجه الى عمل سوروكن وزمرمان تقل بكثير عما يمكن ان يوجه الى أعمال وبرث وردفيلد . ويرجع ذلك — فى جانب منه — الى ان عمل سوروكن وزمرمان كان جهدا وصفيا وليس تحليليا ، أما ردفيلد ووبرث فقد اتجها الى التعمق فيما وراء الوصف .

فحينما يضعان المدنية كمتغير تفسيرى نجدنا أمام مناقشة قضايا أكبر من تلك التى تعرض لها سوروكن وزمرمان . ويمكن تحديد الانتقادات الموجهة الى اعمال ردفيلد والتى يمكن أن توجه الى عمل ويرث الى حد ما فيما يلى :

١ ــ يذهب ردفيلد وويرث الى أن المجتمع الشعبى مغلق ومكتف ذاتيا أما المدينة أو المجتمع الحضرى فهو نظام جزئى أو هو جزء من كل ، ومن ثم فانهما يقعان على طرفى نقيض . ولكنهما فى حقيقة الأمر غير ذلك حيث لايمكن المقارنة بينهما على هذا النحو . اننا نستطيع أن نقارن ــ بصدق ــ بين مجتمع حضرى ومقابلة الريفى كما فعل سوروكن وزمرمان باعتبار كل منهما نسقا فرعيا داخل مجتمع أكبر اتساعا ، ومما يسجل لردفيلد أنه أدرك خطاه هذا وتلافاه فى كتاباته اللاحقة بالرغم من أن كثيرا من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا لايزالون يستخدمون منظوراته القديمة الخاطئة .

٢ ــ يفترض ردفيلد وويرث ويشاركهما فى ذلك ــ الى حد ما ــ سوروكن وزمرمان ، أن المجتمع الريفى يتميز بدرجة عالية من التجانس والاستقرار ، بينما يتميز المجتمع الحضرى بدرجة مرتفعة من عدم التجانس وعدم الاستقرار . ومع أن هذا الافتراض يصف الحالة العامة أو الشائعة ــ نظريا على الأقل ــ الا أن المجتمع القروى ــ واقعيا ــ قد يمر بفترات من التوتر الشديد وعدم الاستقرار .

٣ ــ بالغ ردفيلد وويرث فى تقديرهما لدرجة انقسامية Divisiness الحياة الحضرية وسيولة نسقها المعيارى . ويمكننا أن نرجع ذلك بالطبع الى أن ويرث ، والى حد ما ردفيلد ، كانا أسيرين للفترة الزمنية التى عاشاها . فلقد كانت الحياة الحضرية فى الولايات المتحدة خلال العشرينات والثلاثينات من هذا القرن تبدو مفككة تماما وغير مستقرة ، وذلك من وجهة نظر القادمين الجدد الى المدينة . ومن هنا نلاحظ أن ويرث وكثيراً من دارسى مجتمع المدينة قد فشلوا فى ادراك الآلاف المؤلفة من التنظيمات الاجتماعية غير الرسمية داخل هذا الاطار الحضرى . ويرجع هذا الفشل الى أن التنظيمات الاجتماعة غير الرسمية هذه والقائمة فى المناطق المختلفة والفقيرة فى المدينة ليست على نفس مثيلتها فى اغلب المجتمعات الريفية . وهنا يقول لنسكى Lenski مرتكزا على دراسته للعامل الدينى فى ديترويت Detroit

« ان ما يثير الدهشة فى دراستنا الحالية هو اكتشاف أن روح المجتمع المحلى Communalism موجودة ، بل هى تنمو فى قلب مدينة كبرى حديثة ، الا ان ذلك امر غير قابل للتصور من قبل أولئك الذين يربطون الروح الجماعية بالعزلة الجغرافية وعدد السكان المحدودة » (١٥) .

هذا ولقد فشل أولئك الذين استخدموا اطار ويرث ــ ردفيلد كما فشل ايضا أتباع سوروكن وزمرمان فى تحليل المجتمعات الريفية والحضرية باعتبارها اجزاء ضمن سياق اجتماعى اكبر يضمها جميعا . وكان من نتيجة ذلك أن ظهر عدد محدود من الدراسات السوسيولوجية الجادة التى تسجل تاثير المجتمع القومى الكبير على أوضاع المجتمعات المحلية ، ريفية وحضرية ، ويتمثل هذا التأثير فى تنظيمات المجتمعات الكبيرة كالبيروقراطية الحكومية والمؤسسات الدينية ... الخ . بالاضافة الى التفاعل بين الانساق الأجتماعية المحلية ، والانساق القوميـــة .

واخيرا من الملاحظ أن الكثير من الفروق التى يفترض علماء الاجتماع وجودها بين مجتمع القرية ومجتمع المدينة ليست عامة أو عالمية كما يتصورون . فنرى مثلا أن كثير من المتخصصين فى الدراسات الاجتماعية الريفية مثل سميث Smith يفترضون أن الأسر الكبيرة او الممتدة ظاهرة ريفية اكثر منها حضرية ، ولكن الحال ليس كذلك فى مجتمعات مرحلة ما قبل الصناعة. كما يفترضون ايضا ان المدينة اكثر علمانية من الريف ، وكلها لاتســـــلم من الانتقادات الجـــادة .

فلقد توفرت معلومات كشف عنها متخصصون فى التاريخ الاجتماعى توضح تفكك الأسر الريفية فى كثير من الاحيان بسبب حقوق الارث الى جماعات أصغر فأصغر . وقد حدث هذا فى وقت لم يكن فيه للتصـــــنيع اى اثر بعد . كما دلت بعض المعلومات التاريخية على وجود علاقة متناقضة بين الأسر النووية والتحضر (١٦) .

---

(١٥) Lenski, G., TheReligion Factors (rev. ed.), N.Y., Double-day, 1963

نقلا عن جوبرج ، المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(١٦) للوقوف على مزيد من التفاصيل حول هذه النقطة ، انظر : علياء شكرى « مشكلات اساسيةحول الاسرة والتصنيع » ، فصل فى : السيد محمد الحسينى وزملاؤه ، دراسات فى التنمية الاجتماعية ، دار المعـــارف ، القاهـــرة ، ط (٣) ، ١٩٧٧ ، ص ص ٤١٩ ــ ٤٥٨ .

سـادسا : ـ المتصل الريفى ـ الحضرى :

ولقد حاول بعض الباحثين تجنب الصعوبات التى نجمت عن الاستعانة بالنموذج المثالى فى دراسة الفروق الريفية ـ الحضرية ـ وتطوير اتجاه مركب السمات ـ او استخدام المحكات المتعددة ـ عن طريق الافادة من الخصائص التى كشفت عنها البحوث الواقعية ، فطوروا ما يعرف بالمتصل الريفى ـ الحضرى Rural-Urban Continuum حيث يشير الى وجود نوع من التدرج القائم بين المجتمعات فى درجة التريف والتحضر ، بحيث يصبح من اليسير بعد ذلك أن يقع اى مجتمع انسانى على نقطة معينة من هذا المتصل . فهناك تدرج واضح يبدأ من القرية الصغيرة المنعزلة ثم القرية الاكبر ، فمركز السوق ، ثم المدينة الصغيرة ، فالمدينة الأكبر ، ثم المجتمع المسيطر او المجتمعات المسيطرة . واذن فتعريف الريف أو الحضر يتم فى ضوء الفروق الكمية فى السمات المميزة للريفية والحضرية . كذلك يفترض أصحاب هذا الاتجاه أن تعريف المجتمعات المحلية وفقا لقطبى النموذج المثالى « شعبى فى مقابل حضرى » ، انما ينطوى ضمنيا على فكرة متصل للمجتمعات المحلية ، أن كل الشواهد الواقعية التى تناولت المجتمعات المحلية يمكن أن تقع على نقطة معينة من هـذا المتصـل .

وتستند فكرة المتصل الريفى ـ الحضرى من الناحية النظرية على افتراضين أساسيين : الأول ، هو أن المجتمعات المحلية تتدرج بشكل مستمر ومنتظم من الريفية الى الحضرية وفقا لعدد من الخصائص Continous Graduation والثانى ، أن هذا التدرج يصاحبه بالضرورة اختلافات او فروق متسقة Consistent Variation فى انماط السلوك .

وبالرغم من أن اصحاب فكرة المتصل لم يحصروا لنا تلك الفروق المتسقة التى تحدث فى انماط السلوك والمصاحبة للتدرج المستمر فى بعض المجتمعات ، فاننا نستطيع القول بأن هذه الفروق تتبدى فى بعض الخصائص الاجتماعية والسكانية التى أشار اليها سوركوين ، وزيمرمان ، وروبرت بارك ، ونيقولا سبيكمان ، وجورج زيمل ، ولويس ويرث وغيرهم ، والتى اهمها التباين فى البناء المهنى ، وازدياد تقسيم العمل ، وتعقد نسق التدرج الاجتماعى ، والحراك الاجتماعى ، والمشاركة فى التنظيمات الطوعية ،

والعزلة المكانيـــة ، والتساند الوظيفى ، وطابع العوقات الاجتماعية ، وطبيعة وســـائل الضبط الاجتماعى .

وبالرغم من أن المتصل الريفى ـــ الحضرى قد استطاع أن يتغلب على بعض المشكلات التى صادفت الاستعانة بالنموذج المثالى ، وبالرغم أيضا من أن هذا المتصل قد خطا باتجاه مركب السمات خطوة الى الأمام باستخدام هذه السمات فى تدريج المجتمعات المحلية المختلفة ، فانه لايزال بحاجة الى اختبار واقعى يستطيع أن يكشف عن مدى كفاءته فى تصنيف المجتمعات وفقا للخصائص التى يستند اليها ، وذلك لأن هذا المتصل قد افترض ـــ بداءة ـــ امكانية تدريج المجتمعات المحلية الريفية والحضرية وفقا لمجموعة من الخصائص المرتبطة فيما بينهما ارتباطا وظيفيا . ولعل اهمية الاختبار الواقعى لفكرة المتصـــل الريفى الحضرى تكمن فى انه ـــ اى الاختبار ـــ يستطيع أن يحدد مبلغ صلاحية المتصل كأداة منهجية للتمييز بين الريف والحضر . واذن فالمتصل الريفى ـــ الحضرى لايزال يمثل قضية تحتاج الى مزيد من الشواهد للتأكد من كفاءته كأداة منهجية من ناحية ، ومن قدرته على التمييز بين المجتمعات المحلية المختلفة من ناحية اخرى . يؤكد ذلك نتائج عدد من الدراسات التى اجريت فى تركيا ، الهند ، ووسط افريقيا . فقد اتضح انه ليس ثمة اتصال واضح بين كثير من المجتمعات المحلية المختلفة فيما يتعلق ببعض الخصائص الاجتماعية المرتبطا بالتحضر والتريف ، بحيث يمكن القول انه ليس ثمة تحققا واقعيا لفكرة المتصل . ولقد عبر بوكوك Pocock عن هذه النقطة بعـــد دراسة ميدانية أجراها فى الهند بقوله : « ان المدينة التى ادرسها مدينة هندية ، والقرية قرية هندية ، ولقد حاولت فى هذا المقال أن أسير فى طريق يمكن أن تبرز فيه الفروق بين هذين الشكلين من الاستيطان البشرى ، فانتهيت الى أن علم الاجتماع فى الهند لايمكن تقسيمه الى علم اجتماع ريفى وعلم اجتماع حضرى » (١٧) .

---

(١٧) Pocock, D., «Sociologies-Urban and Rural», contributions Indian Sociology, 1960 (4), 63-81.

نقلا عن جوبرج . الفروق الريفية ـــ الحضرية ، مرجع سابق ، صرص ٦٥ ـــ ٦٦.

قارن : السيد محمد الحسينى ومحمد على محمد ، « الفروق الريفية ـــ الحضريـــة فى بعض الخصائص السكانية . تحليل احصائى » ، فصل فى : محمد الجوهرى وزمـــلاؤه ، دراسات فى علم الاجتماع الريفى والحضرى ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ط (٣) ، ١٩٧٩ ، ص ص ٢٢١ ـــ ٢٦٣ .

ومن الانتقادات التى وجهت الى فكرة المتصل ، بالاضافة الى ذلك ، أنه لم يعد من الممكن القول بوجود متصل حضرى ذى بعد واحد بعد أن أثبتت البحوث الامبيريقية أن السمات المذكورة من قبل لا تتوفر مجتمعه فى جميع الأحوال .

واذا نظرنا الى المتصل الريفى — الحضرى كعملية دينامية ، فان ذلك سوف يعنى ضمنا القول بحدوث « تحضر » و « تصنيع » دائب متصل فى خط واحد لا يتقهقر . كما أن مثل هذه الفكرة تتجاهل ولاشك الصور الجديدة التى اثبتت البحوث الامبيريقية وجودها للتحضر وللتصنيع . والواقع أن العملية التاريخية للتمايز بين الريف والحضر قد تمت على نحو تشبيهى فقط . ويؤكد سوركون وزمرمان تلك الحقيقة ، سواء اذا استعرضنا تلك الحقيقة فى مجتمع بعينه ، أو اذا تتبعنا التمايز بين الريف والحضر على مستوى المجتمع الانسانى كله ، أو حتى فى المجتمعات ذات الطابع الريفى الغالب . فبرغم كل التباين الموجود بين القوى الدافعة الى نمو المدن والى التصنيع ، فان نقطة الانطلاق تتشابه دائما ولا يبدأ التباين الا مع تباين وظائف انتاج الطعام والوظائف ذات الطابع غير الزراعى . ولا يتسنى ظهور هذا التباين الا عندما ينتج العاملون فى الزراعة من المواد الغذائية اكثر مما يستطيعون استهلاكه ، على أن الفرق بين النطاقين — الريفى والحضرى — يكون دائما ضعيفا غير ظاهر فى البداية ، ثم يأخذ فى التضخم والظهور ، حتى يصل الى نقطة الذروة التى تبدأ بعدها تقل من جديد .

وهناك من الشواهد ما يؤكد الزعم القائل بأن المجتمعات الغربية الصناعية قد وصلت بالفعل الى نقطة الذروة هذه . وبدأت بالفعل علمية التقارب الكبير بين ريف تلك البلاد وحضرها . وهو تقارب لا يصح أن نعتبره مجرد « تحضر » مستمر وذوى خط واحد للمناطق الريفية القليلة المتبقية . ونلاحظ هنا أن الغرض الذى قدمه لويس ويرث والذى يتكلم عن الحضرية كأسلوب للحياة (١٨) فى عالمنا الحديث يقول بانتقال بعض السمات

---

(١٨) Louis Wirth «Urbanism as a a way of Life» American Journal of Sociology, Vol. 41, 1938.

نقلا عن علياء شكرى ، « الفروق الريفية — الحضرية » ، فصل فى : محمد الجوهرى وزملاؤه ، دراسة علم الاجتماع ، دار المعارف ، ط (٣) ، ١٩٧٩ ، ص ص ١٤٥ — ١٥٥ .

الاجتماعية الخاصة بالمدينة وبعض أشكال الحياة منها الى الريف . وتؤكد البحوث الامبيريقية الحديثة هذه الآراء الي حد ما . فقد تحولت المدن الكبرى والمتوسطة الى مراكز اشعاع تمارس تأثيرا متزايدا على الريف المحيط بها ، ويرجع هذا التوسع المستمر فى تأثير المدينة الى نمو سكان الحضر بالدرجة الأولى . فالهجرة فى اتجاه واحد من الريف الى المدينة تؤدى الى زيادة سكان الحضر زيادة واضحة . كما يرجع الفضل فى انتشار الحضرية Urbanism الى الاتصالات المتعددة المتزايدة عمقا بين المدينة والقرية، وهى الاتصالات التي ترجع فى المقام الأول الى تقدم المواصلات ووسائل الاتصال الجماهيرى من صحافة وسينما واذاعة وتليفزيون . ولما كانت هذه الاتصالات ذات طابع دورى ولا تسير دائما فى اتجاه معين . أى أنها لا تغادر البيئة الأصلية — المدينة او القرية — نهائيا ، وان هناك حركات فى كلا الاتجاهين من الريف الى المدينة والعكس . لذلك نجدها تلعب دورا واضحا فى عملية اعادة تشكيل بعيدة المدى على كلا الجانبين . ومن شأن هذه الحقيقة أن تحتم علينا اعادة النظر فى قضية التحضر . فالعزلة الاجتماعية — كما يقول كارل تايلور — لم تعد تقاس بالمسافة المكانية وحدها ، وانما بنقص الاتصالات الانسانية . فالحضرية لم تعد ظاهرة مرتبطة بمكان معين ، أى أنها لم تعد ظاهرة جغرافية ، وانما هى حقيقة الأمر موقف عقلى معين . فقد نفذت اليها بعض العناصر الريفية المحدودة . وبذلك يمكن ان نصادف أفرادا أو جماعات ذوى نظرة حضرية فى المناطق الريفية ، تماما كما دلت البحوث والدراسات التى أجريت فى المناطق الحضرية على وجود بعض سمات السلوك والوعى الريفية . فما من شك فى أن الحضرية كشكل من أشكال الحياة تعتبر « نظرة خاصة الى العالم » كما أوضح نيل أندرسون Anderson فى كتابه المجتمع الحضارى Urban Community ولذلك يعتبر من الأمور الهامة التى يجب أن تضعها البحوث فى هذا المجال فى اعتبارها فى المستقبل أن هناك بعض صـــور الاجتماع الانســـانى التى لاتندرج تحت أى من الفئتين « ريف » « وحضر » . ولايمكن أن نفهم هذه التكوينات الاجتماعية حق فهمها الا فى ضوء بنائها الاجتماعى الكلى الخاص بها.

سـابعا : ـ تطبيق فكرة المتصل الريفى ـ الحضرى فى مصر :

لقد اجرى السيد محمد الحسينى ومحمد على محمد دراسة حول موضوع الفروق الريفية ـ الحضرية تستهدف تحليل هذه الفروق فيما يتعلق ببعض الخصائص السكانية بين عدد من المجتمعات المحلية ذوات الأحجام المتباينة فى كل من الوجهين البحرى والقبلى بجمهورية مصر ، وفقا لتعداد ١٩٦٠ (١٩) . ويسعى هذا التحليل الى الكشف بطريقة واقعية عن طبيعة هذه الظروف بهدف التحقق من كفاءة المتصل الريفى ـ الحضرى باعتباره أداة منهجية للتميز بين الريف والحضر ، تستند على الافتراضين الأساسيين المشار اليهما فيما سبق . فالدراسة وان كانت لا تطمح فى أن تقدم صورة شاملة للفروق الريفية ـ الحضرية سواء من حيث عدد هذه الفروق او من حيث عدد المجتمعات المحلية المتفاوتة الأحجام ، الا انها تطمح فى أن تمثل محاولة مبدئية لتشخيص هذه الفروق فى عينة مختارة من المجتمعات الريفية والحضرية المصرية .

وتنظر هذه الدراسة الى حجم المجتمع بوصفه متغيرا اساسيا ، تحاول من خلاله أن تكشف عن الفروق الريفية ـ الحضرية فى بعض الخصائص السكانية المرتبطة به ، وهى العمر ، والحالة الزواجية ، والحالة التعليمية ، والمهنة . وترجع اهمية اختيار هذه الخصائص عموما فى دراسة الفروق الريفية ـ الحضرية الى اعتبارين اساسيين : الأول ، أنها تتيح فرصة ملائمة لاجراء المقارنات الحضارية نظرا لعموميتها وشمولها وقدرتها على تغطية اكبر عدد ممكن من السكان فى عدد كبير من المجتمعات المحلية. والثانى ، انها تستطيع أن تعكس بعض مظاهر التنظيم الاجتماعى والاقتصادى السائد فى هذه المجتمعات . ويضاف الى هذين الاعتبارين نقطة اخرى هامة، وهى أن الافادة من دراسة الفروق الريفية ـ الحضرية فى هذه الخصائص السكانية لاتقتصر على مدى ارتباط هذه الخصائص بحجم المجتمع ، ولكنها

---

(١٩) تقدم الباحثان بهذه الدراسة الى الحلقة الدراسية لعلم الاجتماع الريفى في مصر ، التى عقدتها وحدة بحوث الريف بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة في الفترة من ٩ ـ ١٢ مايو ١٩٧٠ . وقد نشرت في : محمد الجوهرى وآخرون ، دراسات في علم الاجتماع الريفى والحضرى ، مرجع سابق ، الفصل الثامن .

تمتد لتشمل تقويم هذه الخصائص ذاتها فى دراسة تلك الفروق . ولعل هذا الموقف يكون أكثر وضوحا اذا ما أدركنا أن الخصائص السكانية التى تتناولها هذه الدراسة تعد عند بعض الدارسين بمثابة محكات أو معايير للتمييز بين الريف والحضر . واذن فالدراسة ستأخذ فى اعتبارها معالجة هذه الخصائص بوصفها متغيرات تابعة لحجم المجتمع ، وبوصفها أيضا معايير تستخدم فى التمييز بين الريف والحضر .

المنهج الذى تقوم عليه الدراسة : ذكرنا أن هذه الدراسة تقوم على تحليل بيانات تعداد عام ١٩٦٠ فيما يتعلق بالمتغيرات أو الخصائص السكانية الموضحة ، وفرض ذلك بطبيعة الحال الاستعانة بطريقة المقارنة ، التى تتم بين مجتمعات محلية مختلفة الأحجام ، صنفها الباحثين على النحو التالى :

١ ــ **مجتمعات محلية ريفية صغيرة :** تمثلها قرى صغيرة يقل عدد سكانها عن ٣٠٠٠ نسمة .

٢ ــ **مجتمعات محلية ريفية كبيرة :** تمثلها قرى كبيرة ينحصر عدد سكانها بين ٣٠٠٠ نسمة و ١٥٫٠٠٠ نسمة دون أن تصل الى حد تشكيل مدينة صغيرة من وجهة النظر الادارية .

٣ ــ **مجتمعات محلية حضرية صغيرة :** تمثلها مدن صغيرة يطلق عليها اداريا لفظ مركز ، ويتراوح عدد سكانها فيما بين ٤٠٫٠٠٠ نسمة و ٢٠٠٫٠٠٠ نسمة .

٤ ــ **مجتمعات محلية حضرية كبيرة :** وتمثلها مدن كبيرة كعواصم المحافظات ، حيث يتراوح عدد سكانها فيما بين ٤٠٫٠٠٠ نسمة و ٢٠٠٫٠٠٠ نسمة .

وبذلك فقد توفرت مستويات أربعة من المجتمعات المحلية والريفية والحضرية ، تمثل أربعة مستويات بنائية متباينة من حيث الحجم هى : المدينة الصغيرة والقرية الكبيرة ، والقرية الصغيرة . وفى داخل كل من هذه

المستويات المتباينة ، هناك اربع وحدات متماثلة ، بحيث يمكن القول ان هناك ست عشر وحدة بنائية تخضع للمقارنة فى هذه الدراسة .

اما اختيار مجتمعات البحث ، فقد روعى عند اختيارها ضرورة تمثيل الوجهيين البحرى والقبلى . وفى داخل كل منهما اختيرت ثلاث محافظات وفقا لبعد جغرافى . وهذه المحافظات هى : الدقهلية ، والغربية ، والبحيرة فى الوجه البحرى . الأولى باعتبارها تقع شمال شرق الدلتا ، والثانية فى وسطها ، والثالثة فى شمالها الغربى . وفى الوجه القبلى اختيرت المحافظات الثلاث : بنى سويف ، واسيوط ، واسوان وفقا لبعد جغرافى ايضا . وفى داخل كل محافظة اختيرت عاصمتها ، وهذه العواصم هى : المنصـــورة ، طنطا ، دمنهور ، بنى سويف ، اسيوط ، اسوان .

ثم اختير مركز من كل محافظة يعبر قدر المستطاع من الناحية الجغرافية والسكانية عن طبيعة المحافظة ككل . فاختيرت المدن التالية : السنبلاوين ، زفتى ، الدلنجات ، ببا ، منفلوط ، وادفو . ومن داخل كل مركز اختيرت قريتان احداهما كبيرة والأخرى صغيرة .

اما القرى الكبيرة فكانت على النحو التـــالى : زفر (السنبلاوين) ، سنديسط (زفتى) ، الوفائية (الدلنجات) ، سدس الأمراء (ببا) ، بنى رافع (منفلوط) ، والرديسة بحرى (ادفو) .

أما القرى الصغيرة فكانت وفقا للترتيب السابق للمراكز : المتوه ، الرياض ، عزبة الطبرية ، بنى خليل ، السهريج ، والبصيلية الوسطى .

ومن الجدير بالذكر أن اسس اختيار كل من القرى الصغيرة والقرى الكبيرة كانت نفس الأسس التى ارتكز عليها اختيار المراكز والمحافظات ، من حيث البعد الجغرافى او الايكولوجى وحجم المجتمع .

خطة المقارنة والتحليلات الاحصائية : تبدأ الدراسة اولا بعقد مقارنات داخلية بين الوحدات البنائية أو المجتمعات المحلية التى تقع فى فئة حجم واحد كنقطة انطلاق لدراسة الفروق بين المجتمعات المحلية المتباينة الأحجام .

فهناك اذن نمطان من المقارنات : الأول هو المقارنات الداخلية ، التى تتم بين الوحدات المتماثلة الأحجام (سواء كانت قرية صغيرة ، أوقرية كبيرة ، أو مدينة صغيرة ، أو مدينة كبيرة) ، والثانى المقارنات الخارجية بين المستويات المتباينة الأحجام ، حيث يتم عقد ثلاثة انواع من المقارنات هى : مقارنة القرى الصغيرة بالقرى الكبيرة ، ومقارنة القرى الكبيرة بالمدن الصغيرة ، ومقارنة المدن الصغيرة بالمدن الكبيرة . ويستطيع هذان النوعان من المقارنات أن يكشفا عن وجوه التماثل أو الاختلاف سواء بين الوحدات المتماثلة أو المتباينة . هما اذن ليسا نوعين مستقلين من المقارنات ، ولكنهما يرتبطان فيما بينهما ويكملان بعضهما البعض عند دراسة الفروق الريفية ــ الحضرية.

أما عن التحليلات الاحصائية ، فقد استعان الباحثان فى ذلك باختبارات الدلالة الاحصائية : (كا٢) ، (ت) .

مناقشـــــة النتائج :

سوف لا نستغرق فى عرض النتائج الاحصائية التفصيلية التى كشفت عنها هذه الدراسة ، وانما نعرض لمناقشة النتائج التى انتهى اليها الباحثان ، وذلك عـــلى النحـــو التالى :

تكشف التحليلات السابقة عن أن ثمة فروقا ريفيةـــحضرية فى خاصيتين سكانيتين هما : المهنة والتعليم ، فى الوقت الذى تكشف فيه عن عدم وجود هذه الفروق فى خاصيتين أخريين هما : العمر والحالة الزوجية ، وذلك على مستوى الوحدات البنائية المتباينة الأحجام : ولعل ذلك يشير الى حقيقة مبدئية هى أن الفروق الريفية الحضرية والخصائص السكانية موضوع الدراسة لم تتخـــذ نمطا واحـــدا .

وقد ناقش المؤلفان هذه النتائج فى ضوء مفهوم المتصل الريفى الحضرى: « فاذا كان هذا المفهوم يرتكز على تدريج المجتمعات المحلية الريفية والحضرية وفقا لعدد من الخصائص السكانية فى شكل متصل على النحو الذى أوضحناه من قبل ، فان الشواهد التى بأيدينا لا تشير الى تحقق واقعى لفكرة المتصل. وهذا بدوره يجعلنا فى موقف نحاول فيه أن نختبر كفاءة لافتراضيين اللذين يستند اليهما المتصل الريفى الحضرى . فاذا كان هذا المتصل يقوم على

دعامتى التدرج المستمر والتباين المتسق ، فاننا نستطيع القول بأننا لم نتمكن من الحصول الا على شكل ضعيف نسبيا للمتصل قوامه المهنة والتعليم . واذن فالمتصل فى دراستنا هذه لا يمثل واقعا حيا فى حدود الخصائص السكانية موضوع الدراسة . وبالرغم من أن تحليلاتنا لم تكشف عن حالات سالبة ، الا انها تشير بشكل عام الى أحد احتمالين : أما تشابه أو تماثل بين الوحدات البنائية المختلفة فيما يتعلق ببعض الخصائص السكانية ، واما تدرج يشير الى تحقق فكرة المتصل بالنسبة لخصائص أخرى . وبهذه الطريقة يمكن القول بأن الاستعانة بالمتصل الريفى ــ الحضرى باعتباره مفهوما نظريا وأداة منهجية لتصنيف المجتمعات المحلية الريفية والحضرية ودراستها تنطوى على بعض المخاطر ، طالما أنه يتأسس على فكرة نظرية هى امكانية تدريج المجتمعات وفقا لعدد من الخصائص المترابطة ، بحيث أن هذا التدريج يستغرق أكبر عدد ممكن من الخصائص التى يمكن أن تميز هذه المجتمعات . ولكن النتائج التى كشفت عنها هذه الدراسة تشير بوضوح الى أن الاستعانة بفكرة المتصل الريفى ــ الحضرى وفقا لأسسها النظرية تعتبر استعانة محدودة ، على أن نأخذ فى اعتبارنا نطاق هذه الدراسة من حيث حجم عينة المجتمعات المحلية المختارة وعدد الخصائص السكانية المميزة لهذه المجتمعات . ومن ثم فان تدريج المجتمعات المختلفة الأحجام وفقا لخاصية معينة أو مجموعة من الخصائص لا يشير الى تحقيق كامل لفكرة المتصل ، لذلك يتعين على الباحثين فى هذا الميدان الا يقعوا فى خطأ التسليم بفكرة المتصل الريفى ــ الحضرى كحقيقة واقعة لمجرد امكانية تدريج المجتمعات وفقا لخاصية سكانية أو اجتماعية معينة ، وهذا بدوره **يجعلنا نذهب الى ان التصنيفات المستخلصة من واقع المجتمعات المحلية المختلفة قد تكون ذات قيمة عامية أكبر من البناءات الفرضية** Constructs **مثل المتصل الريفى ــ الحضرى .**

وترتبط هذه المناقشة بنقطة هامة ، هى كفاءة حجم المجتمع باعتباره متغيرا مستقلا فى دراسة الفروق الريفية ــ الحضرية . فاذا كانت الدراسة قد دافعت عن الاستعانة به وفقا للاعتبارات السابقة ، فانها تؤكد هنا أن هذه الاستعانة قد مكنتها فعلا من اجراء تحليلاتها الحالية . بيد أن ذلك لا يعنى أن حجم المجتمع وحده يمثل أكفأ الوسائل لدراسة الفروق الريفية ــ الحضرية . فلا تزال هناك أبعاد كثيرة لهذه الفروق لا يستطيع حجم المجتمع أن يكشف

عنها بحكم طبيعته المحدودة . كذلك فرضت علينا الاستعانة بحجم المجتمع بعض القيود خاصة عندما حاولنا اختبار الخصائص السكانية المميزة للمجتمعات المحلية الريفية والحضرية . وبالاضافة الى ذلك نود أن نشير الى أن طبيعة البيانات المتاحة ومصادرها قد لعبت دورا ملحوظا فى اختيار هذه الخصائص .

ويبدو أن نتائج دراستنا تتفق مع بعض نتائج الدراسات السابقة ، والتى اشرنا الى بعضها فى مطلع هذه الدراسة . فهى تتفق مع ما خلص اليه دنكان فى دراسته عن « حجم المجتمع والمتصل الريفى والحضرى » (٢٠) كما أنها تتفق مع ما خلص اليه دنكان وريس فى دراستهما للخصائص الاجتماعية للمجتمعات المحلية الريفية والحضرية (٢١) ، وكذلك بعض الدراسات التى أجريت على مجتمعات محلية ريفية وحضرية فى الهند ، وتركيا ، ووسط أفريقيا ، والتى خلصت الى أن فكرة المتصل لا تمثل اداة يمكن أن تستخدم فى تصنيف هذه المجتمعات (٢٢) . غير أن هذا الاتفاق كان اتفاقا فى الشكل أكثر منه اتفاقا فى المضمون ، كما هو الحال فى دراسة دنكان عندما لاحظ أن فكرة المتصل لم تنطبق بالنسبة لخاصية غلبة نسبة الذكور على الاناث فى المناطق الريفية ، ونسبة السكان غير البيض ، ومعدل الحراك داخل الريف .

وأيا كان الأمر فان الشىء الواضح الذى كشفت عنه دراستنا وبعض الدراسات السابقة هو أن فكرة المتصل قد تحققت بالنسبة لبعض الخصائص السكانية دون البعض الآخر .

وفى ختام دراستنا هذه نستطيع أن نقدم مجموعة من الملاحظات التى يمكن أن تفيد البحث فى موضوع الفروق الريفية ـ الحضرية .

---

(٢٠) Duncan, O., «Community Size and Rural Urban Continuum», in Paul Hatt & Albert Reiss (eds.) Cities and Society, The Free Press of Glencoe, N.Y., 1961, pp. 40-64.

(٢١) Duncan & Reiss, Social characteristics of Urban and Rural communities, John Wiley and Sons, N.Y., 1955.

(٢٢) Pahl. R.E., «The Rural-Urban Continuum,» in Pahl (ed) **Radings in Urban Sociology,** Pergman Press (scotland), 1968, pp. 280 — 286.

نقلا من السيد الحسينى ومحمد على محمد ، المرجع المشار اليه .

أولا : ضرورة أن يسبق التسليم بفكرة المتصل الريفى ـــ الحضرى دراسات واقعية تستهدف التعرف على الملامح أو السمات المميزة للمجتمعات المحليـــة المختلفـــة .

ثانيا : أن مثل هذه الدراسات يجب أن تستعين بالمحكات المختلفة فى التعرف على خصائص المجتمعات المحلية ، وان تكون هذه الدراسات مرتبطة فيما بينها فى اطار خطة محددة تقدم صور ، شاملة لعلاقة كل هذه المحكات بخصائص المجتمعـــات المحليـــة .

ثالثا : أن هذه الدراسات المقبلة يجب ان تأخذ فى اعتبارها كل العوامل والأبعاد التى يمكن ان تسهل اجراء المقارنات الحضارية ، ومن هذه العوامل الاتفاق على تعريف أو تحديد للمتغيرات المختلفة التى يتضمنها تعداد السكان.

رابعا : أن هناك ضرورة ماسة لتضمين تعداد السكان بعض البيانات الأساسية التى يمكن أن تسهم فى الكشف عن السمات المميزة للمجتمعات المحلية كالحراك ، وسن الزواج ، والخصوبة ، والمشاركة الاجتماعية .

خامســا : الاهتمـــام باجراء دراســـات طولية Longitudinal تتبعية بهدف التعرف على عمليات التحضر والنمو الذى يطرأ على المجتمعات المحلية . ومثل هذه الدراسات يمكن أن تكمل الدراسات التى تعد دراستنا واحدة منها فى رسم صورة شاملة للعوامل التى تسهم فى تشكيل بناء المجتمع المحلى وتطوره » .

ثامنا : ـــ نظرية جوبرج فى دراسة الفروق الريفية ـــ الحضرية (٢٣) :

قدم جوبرج اسهاما نظريا واضحا فى تناول قضية الفروق الريفية ـــ الحضرية . فقد ناقش فى مقاله الذى سبقت الاشارة اليه ـــ الأسس النظرية القائمة حول هذه القضية بهدف وضع صياغة جديدة لهذه الأسس تكون

---

(٢٣) اعتمدنا في هذه الفقرة على جوبرج في المرجع الذى سبقت الاشارة اليه ، ص ص ٧٨ وما بعدهـــا .

اكثر كفاية فى مجال عملية التفسير والمقارنة بين الأنماط الريفية والحضرية فى اطار الظروف الاجتماعية العالمية الراهنة .

وترتكز هذه الصياغة الجديدة على معالجة البناء السكانى للمجتمعات الريفية والحضرية عبر الزمان والمكان ، اعتقادا منه بأن هذه المعالجة تخدم مناقشة الأنماط الريفية ــ الحضرية فى ثلاثة نماذج من المجتمعات البشرية تتمثل فى :

١ ــ المجتمعات التى تمر بمرحلة ما قبل الصناعة .

٢ ــ المجتمعات الانتقالية أو النامية .

٣ ــ المجتمعات المتقدمة صناعيا وتكنولوجيا . وذلك على اعتبار أن البعد الريفى ــ الحضرى يختلف اختلافا جوهريا بين كل نموذج اجتماعى وآخر . أى أن هذا البعد فى المجتمع قبل الصناعى يختلف عن مثيله فى المجتمع الانتقالى .. وهكذا . ويرجع هذا الاختلاف الى طبيعة الشكل التكنولوجى الذى يعتمد عليه كل من هذه النماذج الاجتماعية الثلاثة ويمارسه . والمقصود بالتكنولوجيا هنا ــ طبقا لجوبرج ــ أنواع الآلات وطبيعة الطاقة والمعرفة باستخدامها . وهنا نجد أن مجتمع ما قبل الصناعة يتميز ببساطة المعرفة التكنولوجية اذا ما قورن بالمجتمع الانتقالى أو المجتمع الصناعى المتقدم ، حيث هناك مستوى تكنولوجيا معقدا ، وحيث مصادر الطاقة غير معتمدة على الانسان أو الحيوان ، بالاضافة الى الايمان بالعلم وتطبيق نتائجه ومناهجه

ومن الممكن ــ وفقا لهذا التصنيف ــ تحليل بعض العلاقات الريفية الحضرية وبعض أوجه الشبه والاختلاف بين الريف والحضر فى كل نموذج من المجتمعات الثلاثة المشار اليها ، حيث تصبح هذه العملية أكثر نفعا وقربا من الصواب ، حتى لاتتخطى الحواجز الثقافية أثناء المقارنة أو التعميم . ويمكن أن يوصف هذا الاتجاه المقارن بأنه اتجاه تطورى محدث Now Evolutionary لأنه يختلف عن الاتجاه التطورى الذى ساد فى القرن التاسع عشر ، من حيث كونه لا يرى أن المجتمعات تتقدم دائما من خلال مراحل محددة سلفا .

كما يسوق جوبرج تحفظا مؤداه أن التكنولوجيا مع أنها ــ هنا ــ هى العامل الرئيسى فى التفسير ، الا أنه سوف يستخدم عوامل أخرى أثناء عملية

التفسير هذه . فمن المؤكد أن طبيعة المدينة نفسها مسئولة عن بعض الفروق والاختلافات بين الريف والمدينة ، بل ان النمط الحضرى غالبا ما يتأثر بشكل السلطة أو القوة أو النظام السياسى والاقتصادى ، ولذلك فانه فى المجتمع الراسمالى يختلف عنه فى المجتمع الاشتراكى . ومن جهة أخرى ، فان التكنولوجيا وحدها لا تستطيع أن تجعل حياة المدن ممكنة ، وانما يتعين وجود عامل أساسى آخر يتمثل فى نمو اطار من المعرفة التنظيمية المعقدة.

وسوف نعرض بايجاز للأنماط الريفية ــ الحضرية فى كل من النماذج الثلاثة للمجتمعات المشار اليها قبل قليل ، وذلك على النحو التالى :

أ ــ الأنماط الريفية ــ الحضرية فى المجتمعات الحضارية الواقعة فى مرحلة ما قبل الصـــــناعة :

(١) لقد سيطرت المدينة فى كل زمان ومكان على المناطق الريفية ، سياسيا واقتصاديا وثقافيا . الا ان تأثير مدينة ما قبل الصناعة كان اقل اذا ما قورن بتأثير المراكز الحضرية الصناعية الحديثة . ويرجع تسلط المدينة على القرية وسيطرتها عليها ، الى أن المدينة فى هذه المرحلة كانت موطن اقامة جماعات الصفوة المالكة . فقد لوحظ أن كبار الملاك الذين جمعوا ثرواتهم بطريقة مباشرة ــ أو غير مباشرة ــ من خلال عملهم فى التنظيمات الحكومية أو التعليمية أو الدينية وسيطرتهم عليها ، لوحظ أنهم يميلون الى الاستقرار فى المدن حيث مراكز القوة والسلطة والنفوذ . فالمعروف أن الحياة الحضرية توسع فرص الاتصال الشخصى بين القادة السـياسيين ، والدينيين ، والتربويين ، فهناك وظائف ادارية معينة فى المراكز الحضرية لا يمكن الحصول عليها أو شغلها ــ وهذا الأمر موجود حتى الآن فى المراكز الحضرية الصناعية ــ الا من خلال الاتصال الشخصى المؤثر والفعال . وكان هذا النمط من الاتصال شائع فى مدن ما قبل الصناعة قبل اختراع وسائل الاتصال الجمعى التى سهلت تبادل الأفكـــار والمعلومات الى حد كبير .

(٢) وفضلا عن ذلك ، فان الاقامة الحضرية لها مكانة مرموقة ، بحيث يتطلع الريفيون دائما وفى جميع المراحل الاجتماعية الى معايشة حياة المدن أو حتى محاكاتها . وذلك نظرا لما تقدمه المدن ايضا من فرص ذهبية مترتبة على

وجود المكتبات والمؤسسات الدينية ، ومؤسسات الترفيه وما الى ذلك مما لا يتوفر فى المنـــاطق الريفية .

(٣) أن الريفيين فى هذه المرحلة يتميزون بانخفاض مستواهم المعيشى وتدهور أحوالهم حتى بالقياس الى أفقر الطبقات الحضرية . فالقرويين يعملون من أجل القادة الحضريين وتحت سيطرتهم واشرافهم . وبينما كان القرويون يمدون المدن بالانتاج الزراعى أساسا ، فان مدن ما قبـــل الصناعة لم تكن تقدم لهؤلاء القرويين سوى القليل من الســـلة بالاضـــافة الى الضرورى من التنظيم الاقتصادى والسياسى ، وحيث كان انتاج هذه المدن فى معظمه موجها لسكانها أنفسهم . ومما ساعد على تفاقم هذا الوضع أن الصفوة السياسية كانت تمتلك الأرض بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، كما كانت تحكم قبضتها وسيطرتها على التنظيمات الدينية والحكومية . وكانت جماعات الصفوة هذه تعمل ما وسعها الجهد فى الحفاظ على الأوضاع على ما هى عليه . فمن خلال الايجار ، والمشاركة فى المحصولات الزراعية ، والضرائب وما شابه ذلك من أساليب دعمتها الأفكار الغيبية والمتخلفة ، مارست المدينة استغلالها لجهد القرويين فى مختلف أرجاء العالم لصالح تلك الصفوة السياسية والادارية . ولقد تقبل القرويون مصيرهم بسلبية ، ولم يكن لديهم — حتى عهد قريب — أى فكرة عن أساليب مختلفة للوجود والبقاء .

(٤) أن المدينة والقرية ترتبطان فى هذه المرحلة عادة بشبكة من العلاقات الاجتماعية ، حيث يجوب التجار وجامعوا الضرائب هذه الأنساق الاجتماعية، ريفية وحضرية . كما شـــكلت القرابة معبرا آخر بين الريف والمراكز الحضرية . وتعد مراكز الأسواق Market Towns أول مكان تجلت فيه علاقات القرية والمدينة واستقرت . ففى فترات منتظمة يتجه القرويون فى جماعاتهم الى مركز السوق حيث يتقابلون مع التجار القادمين من المدينة ، كما يتعاملون أيضا مع غيرهم من الطوائف الحضرية . وعن طريق مركز السوق هذا تتدفق منتجات القرية الى المدينة ، كما تتدفق المعلومات والأخبار من المدينة لتنتشر فى أرجاء الريف .

(٥) ان المدينة فى هذه المرحلة — كما هو الحال أيضا فى المرحلة الانتقالية — تضم أناسا ينتمون الى الطبقات الدنيا والطوائف المنبوذة .

وهؤلاء الحضريون ابناء الطبقات الدنيا يتقاسمون ـ فيما عدا المناخ الاقتصادى ـ كثيرا من الخصائص المشتركة مع القرويين فى المناطق الريفية .

(٦) ان انماط الأسرة الريفية الحضرية تختلف فى هذه المرحلة من الريف الى الحضر تبعا لاختلاف الوضع الطبقى . فالنسق الأسرى لدى الصفوة الحضرية يتخذ مثله الأعلى فى الأسرة الممتدة او لعائلة Extended Family التى تضم اجيالا متعددة) الأب والأم والابناء المتزوجين وغير المتزوجين والاخوة المتزوجين وزوجاتهم .. وهكذا) يعيشون فى دار واحدة تحت سقف واحد. هذا الشكل من اشكال الأسرة يساعد جماعات الصفوة على تحقيق قيادتها الاقتصادية والسياسية . فالأسر الممتدة تتفاوت فيما بينها على رعاية مصالحها، كما أن أعضاء الأسرة الواحدة والجماعة القرابية الأكثر امتدادا يتعاونون فيما بينهم على شغل مراكز السلطة فى التنظيمات الرئيسية ، تعليمية ، وسياسية ودينية ، كما أن الاشخاص الذين يحرزون مراكز السلطة يتجهون الى تدعيم أسرهم وحمايتها .

اما موقف الطبقات الدنيا فى المدينة والريف ، فانه بمثابة كفاح مستمر من أجل لقمة العيش . ولما كان افراد هذه الطبقة يتجهون الى النزوح المستمر سعيا وراء موطن جديد يوفر لقمة العيش ، بالاضافة الى نسبة الوفيات المرتفعة بينهم ، فان حجم اسر هذه الطبقة ظل صغيرا نسبيا . ومن ثم كانت الأسرة الزواجية Conjugal هى النمط الشائع بين الطبقات الدنيا والطوائف المنبوذة سواء فى المدينة أو الريف . اى ان الفكرة الشعبية والتى مؤداها ان الأسرة الممتدة او العائلة ظاهرة ريفية فى مجتمعات ما قبل الصناعة فكرة يجانبها الصواب ، وهى تعبر عن تعميم خاطىء .

ومن جهة أخرى ، فان دور المراة فى الريف والحضر يختلف ايضا باختلاف الوضع الطبقى . ففى الوقت الذى تفرض فيه كثير من القيود على نساء الصفوة الحضرية ، نجد ان المراة فى الطبقات الدنيا الحضرية ، مثلها فى ذلك مثل المراة الريفية ، لا تثقل كواهلن مثل هذه القيود نظرا لخروجهن للعمل خارج المنزل ، ومشاركتهن فى هذا المجال كعون اقتصادى للأسرة .

(٧) أننا لو نظرنا الى القيم والممارسات الدينية كبعد آخر للمقارنة بين الريف والحضر فى هذه المرحلة ، فسوف يتعين علينا أن نشير الى أن الباحثين قد اعتبروا أن المدينة وسكانها أكثر علمانية من الريف وقاطنيه . ولكن ينبغى الا يقبل ذلك على اطلاقه ، فمدينة ما قبل الصناعة كانت مصـــدرا للتقليد والجمود ايضا كما كانت مصدرا للتغير ، الا ان علماء الاجتماع قد أكدوا دائما وظيفتها فى مجال التغير والتجديد وأغفلوها فى مجال الجمود والتقليد . ولقد نبعت اعظم الديانات فى تاريخ البشرية اساســا من البيئة الحضرية ، كما كانت مدن ما قبل الصناعة مقرا لأسمى وجوه العبادات الدينية . فضلا عن ذلك فان المثل Ideals حضرية اكثر منها ريفية ، لأن الصفوة الحضرية وليس القرويون أو الطبقة الدنيا الحضرية هى التى ترسخ المعايير الدينية وتضعها ، وذلك من خلال ممارســتها وكتاباتها .

(٨) وهناك فارق أساسى آخر بين الريف والحضر — فى هذه المرحلة قبل الصناعة — ظهر فى مجال التربية واللغة ، فقد كان التعليم الرسمى مركزا فى هذا النمط الاجتماعى — والى حد كبير — فى المدن كما كان ايضا حكرا للصفوة . وهذا شىء منطقى بالنسبة لمثل هذا النمط الاجتماعى الذى تحاول فيه الصفوة أن تحافظ على تسلط المدينة على القرية . ومن ثم فان كل خير لا بد أن يفيض على المدينة أولا ، ثم يتحكمون هم فى انتقاله الى المناطق الريفية قطرة قطرة . وحتى تستمر هذه السيطرة الحضرية فى يد المدينة ، لوحظ أن صفوة المدن يتحدثون بلهجة لغوية خاصة تميزهم عن غـــيرهم .

ب — الأنماط الريفية — الحضرية فى المجتمعات الانتقالية

يقصد بالمجتمعات الانتقالية ، تلك المجتمعات التقليدية التى تخلصت حديثا من السيطرة الاستعمارية ، وأخذت تتجه نحو التحضر والتصنيع ، وذلك لادراكها أن التقدم الصناعى هو الذى يحدد وزن الأمة ومكانتها بين دول العالم . وتختلف المجتمعات الانتقالية من أوجه متـــعددة ، فهى تضـــم مجتمعات شـــعبية Folk (كمـــا هو الحـــال فى أفريقيا جنـــوب الصحراء) ، كما تضم ايضا مجتمعات تمتد جذورها الى الماضى الحضارى

لمرحلة ما قبل الصناعة (وهذا النوع من المجتمعات هو ما يؤكد عليه جوبرج عنا) . ويؤكد جوبرج على أن هذين النـــوعين من المجتمعات الانتقالية يختلفان فيما بينهما اختلافا كبيرا فى المصادر الطبيعية والانسانية. كما أن هناك تحفظا يبديه جوبرج بشأن تعيين الفروض والعلاقات الريفية ــ الحضرية فى المجتمعات الانتقالية ، وهو ما يواجه به القائم بهذه العملية من براهين وتفسيرات متناقضة ومتضاربة ، نظرا للخلط الذى يقع فيــه الباحثين ، الذين مازالوا يدرسون الفروق الريفية ــ الحضرية فى هذه المجتمعات ــ الانتقالية ــ فى ضوء خبرتهم بالواقع الأوروبى والأمريكى .

ومن الخصائص المتصلة بالفروق والعلاقات الريفية الحضرية فى هذه المجتمعات الانتقالية ، ما يلى :

(١) أن هناك سيلا سكانيا مستمرا يتجه من الريف الى المدن نتيجة لعملية التصنيع التى تشهدها المدن من جهة ، ونتيجة للانفجار السكانى من جهة أخرى . فقد أخذت المجتمعات المحلية الريفية تعانى ضغوطا اجتماعية واقتصادية قاسية نتيجة للزيادة السكانية المضطردة مع وجود تيارات الهجرة الضخمة من الريف الى المدن وتزايدها المســتمر أيضا . فقد أخذت الحيازات الزراعية تتفتت بشكل ملموس نتيجة لتزايد الورثة وتعاقب الأجيال ، وتفاقمت مشكلة البطالة بوجهها السافر والمقنع ، وانخفضت مستويات الدخل ، واصبحت الزراعة تمثل قطاعا قليل الأهمية اذا ما قورنت بالصـــناعة .

(٢) أن الهجرة الريفية ــ الحضرية المتزايدة على هذا النحو قد ترتب عليها اختلال فى التوزيع العمرى والنوعى سواء فى القرى أو المدن ، مما يتطلب تدابير اجتماعية جديدة . فقد أخذت المدينة تجتذب الشباب من القرية ، ويترتب على ذلك انها تكسب طاقة انسانية فى سن العمل بينما تخسر القرية مثل هذه الطــاقة .

(٣) ان حركة الهجرة المستمرة بين الريف والحضر قد عملت على خفض حدة البعد الاجتماعى بينهما فقد أخذت حركة الهجرة تمضى فى الاتجاهين معا ، اى نزوح الى المدينة ، وعودة الى القرية . فمن لم يوفق

فى الحصول على فرصة عمل من المهاجرين القرويين ، لا يلبث أن يعود مرة ثانية الى قريته انتظارا لهذه الفرصة ، حتى يعود الى المدينة مرة اخرى . وقد ترتب على هذا الوضع حدوث نوع من التداخل أو التشابك فى البناء المهنى للمدينة والقرية . فقد أخذت المدن تضم اعدادا كبيرة من الزراعيين ، ومن جهة أخرى ، فان التداخل الريفى والحضرى قد يحدث أيضا نتيجة لأن السكان الذين ينتمون الى الطبقات الدنيا فى الريف والمدينة يشاركون فيما اسماه اوسكار لويس بثقافة The Culture of Poverty حيث أن الحالة الاقتصادية السيئة التى تعانى منها الطبقات الدنيا الحضرية والقروية تقف عائقا أمام مشاركتهم فيما تتمتع به الصفوة التقليدية أو الطبقة الصناعية الوسطى الحديثة . ومع أن التصنيع يحسن تدريجيا من الوضع الاقتصادى للطبقة الدنيا فان كثيرا من الأشخاص لايزالون يعيشون ثقافة الفقر هـــذه .

(٤) انه نتيجة للتصنيع والتقدم الذى طرأ على هذه العملية ، زاد الاعتماد المتبادل بين المدينة والقرية . فالمدينة لا تعتمد فحسب على الانتاج الزراعى للقرية ، وانما تمدها أيضا بالسلع الجاهزة كالآلات الزراعية والأسمدة الكيماوية وغير ذلك . وعندما تدخل القرى فى معاملات مع هذا الوضع الاقتصادى الجديد ، فان تغيرات تحدث باستمرار فى النمط العتيق للسوق الريفية الحضرية بالاضافة الى العديد من التغيرات الأخرى . ولقد ترتب على اتساع الأفق الاقتصادى للقروى أن حدثت عملية مراجعة للبناء الاجتماعى التقليدى وبخاصة البناء الطبقى ، كما اتسع أيضا مدى ادراك القروى للعالم . خاصة وقد أخذت الدولة تتدخل بدرجات متفاوتة فى حياة القرويين بوسائل شتى ، منها مثلا مشروعات الاصلاح الزراعى وغيرها . هذا فضلا عن الدور الخطير الذى أخذت تلعبه وسائل الاتصال الجمعى ، فى كسر الحواجز التى تحيط بالمجتمع القروى التقليدى .

(٥) ان الدول النامية اخذت تتوسع فى ايفاد المبعوثين من أبنائها الى الدول المتقدمة صناعيا وعلميا للتزود بالعلم والمهارة والخبرة ، كما اخذت تستقدم الخبراء من هذه الدول للافادة من مصارفها العلمية . ومن جهة اخرى يلاحظ أن أصحاب المستويات العلمية الرفيعة يميلون الى التركز فى المدن حتى يمكنهم الاسهام بطريقة فعالة فى عمليات التنمية . اذ أن

تبعثر هذه الكفايات الصناعية والعلمية وتوزعها على عدد كبير من المدن المتوسطة الحجم او الصغيرة قد يعوق الاستخدام الكافى لبعض أشكال المهارات الفنية . ولو أن ارتباط القطاع المتعلم بالمدينة وتوحده بها ، يشكل من ناحية أخرى فجوة بين المجتمعات المحلية الريفية والحضرية ، حيث تظهر الحاجة الماسة فى المجتمعات الريفية الى عناصر من هذا القطاع المتعلم فى الوقت الذى تتوافر منه فى المدينة اعدادا زائدة عن الحاجة .

جـ ـ الأنماط الريفية ـ الحضرية فى المجتمعات المتقدمة صناعيا :

يذهب جوبرج الى أن النظام الصناعى الحضرى يضم عددا من النماذج الفرعية ، منها النموذج الذى تنتمى اليه الولايات المتحدة الأمريكية التى انتقلت مباشرة الى التصنيع والتحضر دون أن تعايش البناء الاجتماعى الاقطاعى . ونموذج آخر ينتمى اليه ـ على سبيل المثال ـ أوروبا الغربية واليابان ، وهى مجتمعات انتقلت الى مرحلة الصناعة والتحضر بعد أن مرت بماض حضارى غير صناعى أو اقطاعى .

وتختلف العلاقات الريفية الحضرية داخل هذين النموذجين الصناعيين غير المتضادين عن مثيلتها فى مجتمعات ما قبل الصناعة ، والمجتمعات النامية . ومن أهم ما تتميز به المجتمعات الصناعية ما يلى :

(١) خضوعها لسيطرة التجمعات Metropolitan agglomerations المتروبوليتانية حيث يعيش اغلب الناس اما داخل المدن الكبرى أو قريبا منها والمدن الكبرى هنا هى التى تسيطر على الملامح الاقتصادية والسياسية والثقافية للمجتمع ، ولكنها فى الوقت نفسه تنتظم انتظاما هرميا ، فبعضها يسيطر على أقليم محدود ، بينما يسيطر البعض الآخر على المجتمع الكلى ويؤثر فيه مثل نيويورك ولندن وموسكو وواشنطن .

(٢) انه بفعل تقدم التصنيع ، والاتجاه المتزايد نحو التمركز العاصمى أو المتروبوليتانية ، وانتشار وسائل الاتصال الجمعى وتقدم وسائل النقل والمواصلات ، يمر البناء الاقليمى بتغير ملحوظ ، بحيث لا يمكن القول بأن

هناك اقاليم ريفية اساسا . وبالترتيب على ذلك ، اتجهت التمييزات الاقليمية القديمة القائمة على اســـاس السمات الزراعية والثقافية ، اتجهت الى التجانس تماما واصبح المجتمع الجمعى Mass Society الآن حقيقة واقعة . وباســـتمرار عملية التجانس هذه ظهر نوع خاص من اللاتجانس قائم على اساس التخصص المهنى بين المراكز الحضريةبوجهعام.

(٣) انه بظهور المدينة الصناعية ظهرت انساق عائلية ، وطبقية ، واقتصادية ، ودينية ، وترفيهية ، وتعليمية جديدة تختلف اختلافا ملحوظا عما يقابلها فى مدينة ما قبل الصناعة . ويمكن القول ــ ان عملية التصنيع قد اختزلت الفروق الريفية الحضرية فى كل التنظيمات والانساق الاجتماعية. ومع ان هناك بعض الاختلافات فى هذا الصدد بين الولايات المتحدة وأوروبا الغربية ، الا أن الاتجاه الغالب والمسيطر هو انحسار التمييزات التقليدية بين الريف والحضر وتلاشـــــيها .

(٤) انه فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، شهد مجال الزراعة تطورا حديثا ضخما . فقد انتشرت نماذج معينة من التكنولوجيا الزراعية ، كما دخلت الزراعة ميدان التصـــنيع . ولا يعنى تصنيع الزراعة استخدام الآلات فقط ، بل يعنى كذلك اطارا كليا من الأفكار المرتبطة بهذه الآلات . ولذلك فان الدول الصناعية بوجه عام تعـــد برامج تدريبية للمزارعين بهدف تحقيق الكفاية الانتاجية فى مجال الزراعة واجراءات التسويق ومعالجة الانتاج وتشكيله .

(٥) أن التصنيع قد تترتب عليه مشكلات معينة . فقد ولد التحضر الصناعى النسبى للقطاع الريفى مشاكل معينة ، تتمثل احداها فى عدم المساواة بين مستوى معيشة السكان القرويين والحضريين . مما دعا القرويين الى المطالبة بتحقيق نوع من المساواة فى مستوى المعيشة بينهم وبين الحضريين. هذا بالاضافة الى أن الفرص المتاحة امام القرويين فى التعليم والتدريب اقل من تلك المتاحة لسكان الحضر . الا ان وسائل الاتصال الجمعى قد الغت ــ الى حد كبير ــ الفروق بين اسلوب حيـــاة القروى والحضرى .

(٦) واخيرا ، فان جوبرج يذهب الى أن المجتمعات المحلية الريفية

القائمة فى النظم او المجتمعات المتقدمة صناعيا تعد مستودعات للقيم والمعايير التقليدية فى مجال الأسرة والدين والسياسة . وان الكتاب عادة ماينظرون الى النسيج الأخلاقى للسكان الريفيين باعتباره متفوقا على ذلك النسيج لسكان الحضر .

وفى النهاية ينوه جوبرج الى أن التعميمات السابقة تنطبق ـ أساسا ـ على الولايات المتحدة وغرب اوروبا ، كما أن بعضها قد يصدق أيضا على المجتمعات الصناعية الاشتراكية كالاتحاد السوفيتى وبعض دول شرق اوروبا ، مع الوضع فى الاعتبار وجود فروق وتحفظات فى اطلاق هذه التعميمات تترتب على اختلاف الاطار الأيديولوجى بين الشرق والغرب . ومن جهة أخرى ، فانه بالنسبة للتنبؤات المتصلة بهذه القضية فى المستقبل، يذهب جوبوج الى أن الصراعات بين القطاعات الريفية والحضرية فى المجتمعات الانتقالية او النامية سوف تزداد حدة ، أن لم تأخذ الدول النامية على عاتقها مهمة تحقيق درجة معقولة من التوازن بين مشروعات التنمية الحضرية ، ومشروعات التنمية الريفية ، على أن يكون هذا التوازن فى تحقيق التنمية عملية مستمرة . كما يمكن التنبؤ أيضا بأن الفجوة بين الريف والحضر فى المجتمعات الصناعية المتقدمة سوف تضيق باستمرار ، الا أن بعض الفروق سوف تظل تقاوم ـ بدون شك ـ لفترة طويلة .

تاسعا : الفروق بين الريف والحضر فى الاحصاءات المصرية

اعتمدنا فى هذه الفقرة على نتائج التعداد العام للسكان والاسكان للعام ١٩٧٦ الذى أصدره الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء بجمهورية مصر العربية (سبتمبر ١٩٧٨) لبيان بعض الفروق بين الريف والحضر فى مصر على أساس الاحصاءات العامة .

والملاحظ بادىء ذى بدء أن التقسيم الادارى كان هو الأساس المتبع فى جمع البيانات من الميدان ، ويقول كتاب التعداد العام « اتخذت الوحدات الادارية الرسمية أساسا للعمل الميدانى بخلاف التعدادات السابقة لتعداد ١٩٦٠ والتى كانت تجرى وفقا للتقسيمات المالية (الزمام) . واعتبرت الشياخة

فى المدن والأقسام والقرية فى المراكز اصغر الوحدات الادارية فى مرحلة جمع البيانات وفى نشر النتائج النهائية التفصيلية للتعداد . وقد نشرت البيانات على اساس التقسيمات الادارية التى كانت قائمة وقت التعداد حتى نوفمبر ١٩٧٦ » (٢٤) .

اما بالنسبة لتقسيم الجمهورية الى ريف وحضر ، فيقول تقرير التعداد العام : —

« تنقسم الجمهورية الى قسمين رئيسيين هما الحضر والريف . ويقصد بالحضر فى هذا التعداد جميع المدن والأقسام والشياخات فى اى محافظة . ويقصد بالريف فى هذا التعداد جميع القرى وما يتبعها من عزب وكفور ونجوع فى اى محافظة . وتوجد بعض محافظات هى عبارة عن تكتل حضرى كامل وان شابها بعض المناطق الريفية الصغيرة ونطلق عليها محافظات حضرية وهى على وجه التحديد :

محافظة القاهرة — محافظة الاسكندرية — محافظة بورسعيد — محافظة السويس . أما باقى المحافظات المكونة للجمهورية والبالغ عددها ٢١ محافظة فهى مزيج من الحضر والريف على النحو التالى :

فعاصمة المحافظة ، وعاصمة المركز ، وبعض البلاد التى صدرت بها قرارات جمهورية بكونها مدينة ، وهذه تمثل الركن الحضرى من المحافظة .

اما باقى بلاد المحافظة والتى تسمى قرى وكانت فى التعدادات السابقة تسمى ناحية ، فهى تمثل الركن الريفى من المحافظة .

وعلى ذلك فاننا نطلق على هذه المحافظات بهذا التكوين المحافظات الريفية .

---

(٢٤) انظر مجلد النتائج التفصيلية لتعداد السكان والاسكان ١٩٧٦ ، اجمالى الجمهورية مرجع رقم ٩٣ — ١٥١١١ — ١٩٧٨ ، الصادر عن الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء جمهورية مصر العربية ، سبتمبر ١٩٧٨ . ص ٣ تحت عنوان : « التعاريف والمصطلحات الفنية ومفاهيم التعداد » .

وهى جميع محافظات الجمهورية عدا الاربع محافظات الحضرية السابق الاشـــارة اليها .

بعض المؤشرات الاحصائية المتصلة بالفروق الريفية الحضرية فى مصر(٢٥):

سوف نعرض فيما يلى لعدد من المؤشرات الاحصائية المتصلة بموضوع الفروق الريفية ــ الحضرية فى مجتمعنا المصرى ، وذلك على النحو التالى :

١ ــ النوع بين الحضر والريف (ذكور ــ اناث)

ورد فى صفحة ٢٧ من المرجع المشار اليه ، أن هناك اختلافا فى نسبة النوع بين حضر وريف الجمهورية وذلك على النحو التالى :

فى الريف : يوجد ١٠٢ ذكر لكل مائة انثى .

فى الحضر : يوجد ١٠٥ ذكر لكل مائة انثى . « ويرجع هذا على الأرجح الى اجتذاب المدينة (الحضر) للذكور للعمل بها » .

٢ ــ قطاعات العمر بين الحضر والريف :

الأطفال دون الســـــادسة :

يبلغ عدد هذه الفئة من العمر ٦ر٣ مليون بنسبة ١٧ر٣٪ من جملة سكان الجمهورية المصريين .

وتختلف نسبة الأطفال أقل من ٦ سنوات بين حضر وريف الجمهورية : فهى ١٨ر٨٪ من ســـــكان الريف ، ١٥ر٤٪ من ســـكان الحضـــر . الأمر الذى يعكس الخصوبة بين الريف والحضر .

ويتركز من هؤلاء **فى الريف (القرى)** حوالى ٣ر٩ مليون بنسبة ٦١ر١٪ من جملة هـــذه الفئـــة .

---

(٢٥) اعتمدنا في ثبت بيانات هذه الفقرة على مجلد النتائج التحليلية لتعداد السكان والإسكان ١٩٧٦ ، المرجع السابق .

كما يتركز منهم فى **الحضر (مدن الجمهورية)** حوالى ٨ر٧ مليـــون فرد بنسبة ٤ر٤٥٪ من جملة من لايعمل من السكان المصريين .

واذا حسبت نسبة الاعالة الاقتصـــــادية والتى تأخذ الصورة :

$$\frac{\text{عدد المعولين}}{\text{عدد افراد قوة العمل}} \times ١٠٠ ،$$

فاننا نجد أن كل مائة فرد من افراد قوة العمل ١٥ سنة فأكثر يعول الى جانب نفسه ٢٩٧ فردا فى الريف ، ٢٦٠ فى الحضر ، ٢٨٠ فردا فى الجمهورية .

وهذا يشير الى كبر نسبة الاعالة فى الريف عنه فى الحضر ، والى كبر نسبة الاعالة على مستوى الجمهورية عموما (٢٦) .

٣ ــ الحالة التعليمية بين الحضر والريف (١٠ سنوات فأكثر) :

(أ) الأمية : يبلغ عدد الأميين فى حضر وريف الجمهورية حوالى ١٥ مليون فرد بنســـــبة ٣ر٥٦٪ من جملة سكان الجمهورية المصريين ١٠ ســـــنوات فأكثر .

١ ــ فى الريف (قرى الجمهورية) :

يتركز حوالى ٣ر١٠ مليون فرد أمى بنسبة ٥ر٦٨٪ من جملة الأميين فى الحضر والريف .

٢ ــ فى الحضر (مدن الجمهورية) :

يتركز حوالى ٧ر٤ مليون فرد أمى بنسبة ٥ر٣١٪ من جملة الأميين فى الحضر والريف .

---

(٢٦) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، المرجع السابق ، عرض ٢٧ ــ ٢٨ .

(ب) يقرأ ويكتب : يبلغ عدد من يقرأ ويكتب فى حضر وريف الجمهورية حوالى ٥ر٥ مليون فرد بنسبة ٦ر٢٠٪ من جملة سكان الجمهورية المصريين ١٠ سنوات فأكثر .

١ ــ فى الريف (قرى الجمهورية) :

يتركز حوالى ٥ر٢ مليون فرد بنسبة ٤ر٤٥٪ من جملة من يقرأ ويكتب فى الحضر والريف .

٢ ــ فى الحضر (مدن الجمهورية) :

يتركز حوالى ٣ مليون فرد بنسبة ٦ر٥٤٪ من جملة من يقرأ ويكتب فى الحضر والريف .

(ج) حملة المؤهلات : يبلغ عدد حملة المؤهلات فى حضر وريف مصر حوالى ٧ر٥ مليون فرد بنسبة ٣ر٢١٪ من جملة سكان الجمهورية ١٠ سنوات فأكثر .

١ ــ فى الريف (قرى الجمهورية)

يتركز حوالى ٦ر١ مليون فرد بنسبة ٢٨٪ من جملة المؤهلات فى الحضر والريف .

٢ ــ فى الحضر (مدن الجمهورية) :

يتركز حوالى ١ر٤ مليون فرد بنسبة ٧٢٪ من جملة المؤهلات فى الحضر والريف . وعموما كانت نسبة الحالات التعليمية فى حضر الجمهورية وريفها على النحو التالى منسوبة الى جملة السكان المصريين فى الحضر والريف (١٠ سنوات فأكثر) (٢٧) :

---

(٢٧) المرجع السابق ، ص ص ٢٩ ــ ٣٠ .

الحالة التعليمية	حضر	ريف	الجمهورية
أمى	٣٩ر٢٪	٧٠ر٤٪	٥٦ر٣٪
يقرأ ويكتب	٢٤ر٩٪	١٧ر١٪	٢٠ر٦٪
حملة المؤهلات	٣٤ر٣٪	١٠ر٦	٢١ر٣٪
غير مبين	١ر٦٪	١ر٩٪	١ر٨٪
الجملة	١٠٠	١٠٠	١٠٠

ومن هذا يتضح أن نسبة الأمية فى الريف مازالت مرتفعة مقارنة بمثيلتها فى الحضر ، كما أن الحضر يتميز عن الريف بارتفاع نسبة من يعرفون القراءة والكتابة ، ومن يحملون مؤهلات .

٤ ــ النشاط الاقتصادى بين الحضر والريف (٦ سنوات فأكثر) :

(أ) عدد ذوى النشاط الاقتصادى فى حضر وريف الجمهورية حوالى ١٠ر٢ مليون فرد بنسبة ٣٣ر٩٪ من جملة سكان الجمهورية المصريين ٦ سنوات فأكثر .

١ ــ فى الريف (قرى الجمهورية) : يتركز من هذا العدد ٩ر٥ مليون فرد بنسبة ٥٧ر٤٪ من جملة ذوى النشاط فى الحضر والريف .

٢ ــ فى الحضر (مدن الجمهورية) :

يتركز من هذا العدد ٤ر٣ مليون فرد بنسبة ٤٢ر٦٪ من جملة ذوى النشاط فى الحضر والريف . وعموما فان كل ١٠٠ من ذوى النشاط من السكان فى الحضر يقابل ١٤٠ من ذوى النشاط فى ريف الجمهورية .

(ب) يبلغ **عدد من ليس لهم نشاط** من السكان فى حضر وريف الجمهورية حوالى

٢٠ مليون فرد بنسبة ١ر٦٦٪ من جملة سكان الجمهورية المصريين ٦ سنوات فأكثر .

١ ــ فى الريف (قرى الجمهورية)

يتركز من هذا العدد حوالى ١١ مليون ٣ر٥٤٪ من جملة من ليس لهم نشاط فى الريف والحضر .

٢ ــ فى الحضر (مدن الجمهورية) :

يتركز من هذا العدد حوالى ٩ مليون بنسبة ٧ر٤٥٪ من جملة من ليس لهم نشاط فى الحضر والريف .

وعموما ، فان الجزء النشط من سكان الجمهورية فى كل من الحضر والريف يتمشى مع النسبة ٤ر٣٢٪ للحضر منسوبا الى جملة حضر الجمهورية ٦ سنوات فأكثر ، والنسبة ١ر٣٥ للريف منسوبا الى جملة ريف الجمهورية ٦ سنوات فأكثر (٢٨) .

٥ ــ المهن بين الحضر والريف (١٥ سنة فأكثر) :

(١) يبلغ عدد ذوى المهن من السكان فى الحضر وريف الجمهورية حوالى ٦ر٩ مليون فرد بنسبة ٩ر٤٣٪ من جملة سكان الجمهورية المصريين ١٥ سنة فأكثر .

١ ــ فى الريف : يتركز من هذا العدد حوالى ٢ر٥ مليون فرد بنسبة ٩ر٥٣٪ من جملة ذوى المهن فى الحضر والريف .

٢ ــ فى الحضر : يتركز من هذا العدد حوالى ٤ر٤ مليون فرد بنسبة ١ر٤٦٪ من جملة ذوى المهن فى الحضر والريف .

وعموما ، فان كل ١٠٠ فرد من ذوى المهن من السكان فى الحضر يقابله ١٢٠ فردا فى الريف .

---

(٢٨) المرجع السابق ، ص ص ٣٠ ــ ٣١

(ب) يبلغ عدد **من لا مهنة لهم** من السكان فى حضر وريف الجمهورية حوالى ٣ر١٢ مليون فرد بنسبة ١ر٥٦٪ من جملة سكان الجمهورية المصريين ١٥ سـنة فاكثر .

(١) فى الريف : يتركز من هذا العدد حوالى ٧ر٦ مليون فرد بنسبة ٦ر٥٤ من جملة من لا مهنة لهم فى الحضر والريف .

(٢) فى الحضر : يتركز من هذا العدد حوالى ٦ر٥ مليون فرد بنسبة ٤ر٤٥٪ من جملة من لامهنة لهم فى الحضر والريف (٢٩) .

٦ ــ الحالة الزواجية بين الحضر والريف :

(أ) يبلغ عدد **المتزوجين** من السكان فى حضر وريف الجمهورية حوالى ١ر١٣ مليون متزوج بنسبة ١ر٦٥٪ من جملة سكان الجمهورية الذين لهم حالات زواجية .

١ ــ فى الريف : يتركز من هذا العدد ٥ر٧ مليون متزوج بنسبة ٠ر٧٥٪ من جملة المتزوجين فى الريف والحضر .

٢ ــ فى الحضر : يتركز من هذا العدد ٦ر٥ مليون متزوج بنسبة ٠ر٤٣٪ من جملة المتزوجين فى الريف والحضر .

(ب) لم يتزوج ابدا :

بلغ عدد من لم يتزوج ابدا من السكان فى حضر وريف الجمهورية حوالى ٢ر٥ مليون فرد بنسبة ٧ر٢٥٪ من جملة سكان الجمهورية الذين لهم حالات زواجية .

١ ــ فى الريف : يتركز من هذا النوع حوالى ٣ر٢ مليون فرد بنسبة ٤ر٤٤٪ من جملة هذه الفئة فى الريف والحضر .

---

(٢٩) المرجع السابق ، ص ٣١ .

٢ ــ **فى الحضر** : يتركز من هذا النوع حوالى ٢ر٩ مليون فرد بنسبة ٦ر٥٥٪ من جملة هذه الفئة فى الريف والحضر .

(ج) الطلاق :

يبلغ عدد المطلقين فى حضر وريف الجمهورية حوالى ١٦٦ الف فرد بنسبة ٨ر٠٪ من جملة السكان ذوى الحالات الزواجية فى الحضر والريف .

١ ــ **فى الريف** : يتركز حوالى ٨٢ الف من هذا العدد بنسبة ٣ر٤٩٪ من جملة هذه الفئة .

٢ ــ **فى الحضر** : يتركز حوالى ٨٤ الف من هذا العدد بنسبة ٧ر٥٠٪ من جملة هذه الفئة فى الحضر والريف . أى أن اعداد المطلقين فى الحضر والريف تكاد تكون متقاربة .

(د) الترمل :

يبلغ عدد المترملين فى حضر وريف الجمهورية حوالا ١ر٧ مليون بنسبة ٤ر٨٪ من جملة الحالات الزواجية

١ ــ **فى الريف** : يتركز من هذا العدد ١ر١ مليون فرد بنسبة ٧ر٦٢٪ من جملة هذه الفئة فى الحضر والريف .

٢ ــ **فى الحضر** : يتركز من هذا العدد ٦ر٠ مليون فرد بنسبة ٣ر٣٧٪ من جملة هذه الفئة فى الحضر والريف (٣٠) .

واذا نظرنا الى البيانات العامة السابقة المتصلة بعدد من المتغيرات أو الخصائص السكانية ، فسوف يستلفت نظرنا ما يلى :

---

(٣٠) المرجع السابق ، ص ص ٣١ ــ ٣٢ .

١ ــ ارتفاع نسبة الذكور عنها للاناث بوجه عام ، وفى الحضر بشكل ملحوظ ، وقد تفسر هذه الزيادة الملحوظة فى نسبة الذكور بالقطاع الحضرى من الجمهورية ، كنتيجة من نتائج ظاهرة الاستقطاب الحضرى ، حيث تزداد أعداد الذكور النازحين الى المدن لأسباب متعـــــددة .

٢ ــ ارتفاع نسبة الاعالة الاقتصادية بوجه عام ، مع زيادة هذه النسبة فى القطاع الريفى عنها فى القطاع الحضرى . ولا يخفى علينا أن ارتفاع نسبة الاعالة يمثل عبئا على كاهل القوى العاملة ، مما قد يكون له اثر فى انخفاض المستويات المعيشية .

٣ ــ زيادة الأمية فى القطاع الريفى ، وانخفاض نصيب هذا القطاع من المستويات التعليمية الأخرى ، ومن جهة أخرى ،يلاحظ ارتفاع نسبة أصحاب المؤهلات بالقطاع الحضرى . وتتسق هذه النقطة مع ماذهب اليه جوبرج فى تناوله للأنماط الريفية ــ الحضرية فى المجتمعات الانتقالية او النامية (وهى مرحلة يمر بها مجتمعنا المصرى) ، حيث ذكر ــ جوبرج ــ أن المتعلمين فى هذا النمط من المجتمعات الانتقالية يميلون الى التركز فى المدن . وسوف نوضح ذلك بالتفصـــيل فى موضع لاحق .

٤ ــ أن نسبة من لهم نشاط اقتصادى (٦ سنوات فأكثر) مرتفعة فى القطاع الريفى عنها فى القطاع الحضرى . وقد يفسر ذلك على النحـــو التـــالى :

(أ) الاعتماد على الأطفال فى مجال النشاط الاقتصادى وخاصة فى العمليات الزراعية .

(ب) تسرب الأطفال الريفيين فى هذه الفئة العمرية من مراحل التعليم الالزامية نظرا لحاجة العمل الزراعى اليهم ، وذلك على اعتبار أنهم يمثلون قيمة اقتصادية عاجلة من هذه الزاوية بالنسبة لمجتمعاتهم المحلية القروية .

(ج) انتظام اقرانهم من الاطفال الحضريين ـــ فى هذه السن ـــ فى مراحل التعليم .

٥ ـــ ان نسبة أصحاب المهن فى القطاع الريفى مرتفعة عنها فى القطاع الحضرى . وقد يفسر ذلك على النحـــو التـــالى :

(أ) أن الأفراد الحضريين (١٥ سنة فأكثر) يكون من بينهم تلاميذ وطلاب فى مراحل التعليم المختلفة ، ومن ثم يأتى تصنيفهم ضمن من لا مهن لهم .

(ب) أن هناك نسبة بطالة مرتفعة بين سكان القطاع الحضرى .

٦ ـــ يلاحظ أن نسبة الطلاق مرتفعة فى القطاع الحضرى عنها فى القطاع الريفى . فعلى الرغم من تقارب الأعداد ، مع وجود زيادة فى عدد المطلقين فى القطاع الحضرى ، الا أن نسبة الطلاق فى هذا القطاع الأخير ـــ الحضرى ـــ تعتبر مرتفعة فى ضوء نسبة عدد السكان المقيمين فى الحضر الى اجمالى عدد سكان الجمهورية ـــ ولعل ذلك يكشف عن نمط من المشكلات الاجتماعية الحضرية .

٧ ـــ كما يلاحظ ايضا ـــ وبوضوح شديد ـــ ارتفاع نسبة الترمل فى القطاع الريفى عنها فى القطاع الحضرى . وقد يكشف ذلك عن زيادة نسبة الوفيات بين المتزوجين من سكان هذا القطاع الريفى، نتيجة لانتشار بعض الأمراض المتوطنة من جهة ، ونقص الخدمات الصحية والطبية أو العلاجية ، والفقر ، .. من جهة أخرى . وقد يكشـــف ذلك ايضا عن شبكة من المشكلات التى يعانى منها القطاع الريفى فى مجتمعنا المصرى .

عاشرا : ـــ فى محاولة لتقييم الموقف النظرى الراهن لقضية الفروق الريفية ـــ الحضرية :

عرضنا لبعض الآراء والاتجاهات الفكرية المتصـــلة بقضية الفروق الريفية ـــ الحضرية منذ ابن خلدون فى القرن الرابع عشر ، ثم فى اوساط

الفلاسفة ورواد علم الاجتماع الغربيين فى القرن التاسع عشر حيث النزعة التطورية فى النظر الى المجتمعات الانسانية . ورأينا كيف تطور البحث فى هذه القضية من الاستعانة بفكرة النموذج المثالى ، ووضع ثنائيات للمقابلة بين نوعين من المجتمعات يفترض أن أحدهما يحمل خصائص مجتمع ريفى والآخر يحمل خصائص مجتمع حضرى ، كما رأينا محاولات لدراسة القضية على أساس فكرة المحك الواحد ، ثم الاستعانة بمحكات متعددة للتمييز بين المجتمعات الريفية والمجتمعات الحضرية ، حتى ظهرت فكرة المتصل الريفى — الحضرى كأداة منهجية لقياس الفروق الريفية — الحضرية .

والواقع أن كل من مراحل تطور البحث فى هذه القضية كانت تأتى لتكمل بعض القصور أو أوجه النقص فيما سبقها من مراحل . ولكن هل معنى ذلك أن ابعاد الصورة قد اتضحت وانه لم يعد هناك ما يستأهل النظر والمناقشـــــة ؟

لقد شهدت قضية الفروق الريفية — الحضرية اهتماما ملحوظا من جانب علماء الاجتماع منذ مطلع الستينيات من هذا القرن ، وبخاصة من جانب علماء الاجتماع الريفى فى الولايات المتحدة . ومما دفع بالكثيرين منهم الى الاهتمام بهذه القضية ، أن علم الاجتماع الريفى ، كميدان للدراسة ، سوف يتأثر الى حد بعيد بالنتائج التى يسفر عنها الجدل والنقاش المتصل بهذه القضية ، وذلك على نحو ما يرى هارولد كوفمان Kaufman وآفتر سنج Singh (٣١) .

ومن جهة أخرى ، فان القضية لاتزال حتى اليوم تمثل موضـــــوعا خلافيا لم يحظ بعد بدرجة من الاتفاق من جانب العلماء والباحثين . اذ أن المفاهيم المتصلة بها حتى الآن لازالت غامضة وينقصها الوضوح والتحديد، أو كما يطلق عليها البعض أنها — أى قضية الفروق أو العلاقات الريفية— الحضرية —مفهوم اسفنجى مرن ، يكتنفه كثير من الغموض والخلط والاضطراب.

---

(٣١) Harold Kaufman and Avter Singd, **The Rural-Urban Dialogue and Rural Sociology**, Rural Sociology, 43, 1969, pp. 546–51.

فمصطلح « ريفى » ومصطلح « حضرى » لم تستقر الآراء بعد حول مدلول كل منها . حتى ان هناك اربعين عنصرا من العناصر التى يعتقد الباحثون انها تميز بين المجتمع الريفى والمجتمع الحضرى . ويكفى مجرد النظر الى قائمة بهذه العناصر ليرى الباحث للوهلة الأولى أنه لا يوجد اتفاق حولها بين الباحثين ، فيما عدا بضعة عناصر منها فقط كاللا تجانس ، ومجهولية الأسماء ، والعلاقات الثانوية (٣٢) .

ولقد ترتب على التقدم الصناعى والتحضر ، وتطور وسائل الاتصال بمختلف اشكالها ، والتقدم التكنولوجى وخاصة فى ميدان الانتاج الزراعى ، وانتشار التعليم الرسمى ، .. الخ . ترتب على ذلك كله أن اتخذت قضية الفروق الريفية ــ الحضرية وضعا **فى الدول الصناعية المتقدمة** يختلف عنه فى دول العالم الثالث . فالباحثون الغربيون مختلفون فيما بينهم حول هذه القضية فى مجتمعاتهم الصناعية المتقدمة ، ففريق منهم يرى ــ من خلال نتائج دراسات حول الموضوع ــ أن الفروق الريفية ــ الحضرية لم تعد تمثل قضية ذات بال ، لأنها تتضاءل باستمرار ، وانها فى سبيلها الى الاختفاء والزوال . وذلك فى الوقت الذى يقرر فيه فريق آخر أن هذه الفروق لم تزل موجودة ، وأنها سوف تظل باقية . وهناك فريق ثالث من الباحثين يصرح بوضوح أن هذه الفروق قد اختفت بالفعل من على مسرح الحياة فى المجتمع وأنه لم يعد لها وجود . حتى أن الفريق الأخير يسود بين اعضائه اتجاه مؤداه انه لم يعد من الجائز اليوم القول بوجود مجتمعات ريفية ذوات ثقافة فرعية ريفية ، وانما يمكن القول بوجود تصنيفات مهنية فقط بين المجتمع الحضرى والمجتمع الريفى . فالقرويون يتميزون عن الحضريين من خلال المهنة أو الاشتغال بالعمل الزراعى . أما عن الثقافة وأساليب الحياة ، فان الريفيين والحضريين قد أصبحوا متقاربين فيها الى ابعد الحدود

وأما عن وضع هذه القضية **فى بلدان العالم الثالث** ، فانه يتخذ شكلا آخر ،فالفروق الريفية ــ الحضرية فى هذه البلدان واضحة وملموسة كما أن العلاقات الريفية ــ الحضرية ذات طبيعة خاصة فى كل بلد منها تبعا لخصوصية الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . غير أن هناك

---

(٣٢) Richard Dewey, «**The rural-Urban Continuum : Real but relatively unimportant,**» American Journal of Sociology, 66, 1960, pp. 60—66.

اتجاها عاما يميز هذه العلاقات الريفية ــ الحضرية فى تلك البلدان ، وهو النمو الحضرى السريع الذى تشهده المدن الكبرى فى هذه البلدان بفعل التوسع فى التصنيع ، والهجرة الريفية ــ الحضرية . وفضلا عن ذلك ، فان هذه البلدان تشهد تفاعلا وتأثيرا متبـــادلا بين المدينة والقرية . وفى الوقت الذى يحدث فيه تريف للمدينة ، تشهد القرية على الجانب الآخر عملية تحضر .

ومما يميز الوضع فى بلدان العالم الثالث ، أن الاسهامات المتعلقة بوضع قضية الفروق الريفية ــ الحضرية فيها اسهامات قليلة اذا قورنت بتلك الاسهامات الخاصة بوضع القضية فى الدول المتقدمة . ومن ثم فانه يتعين على المشتغلين بعلم الاجتماع فى بلدان العالم النامى أن يولوا هذه القضية حقها من الاهتمام .

اهمية المدخل الثقافى فى تناول قضية الفروق الريفية ــ الحضرية : ان من اهم الانتقادات التى وجهت الى اغلب الدراسات الاجتماعية الريفية ــ الحضرية ، سواء منها ما استخدم المحكات المتعددة أو المحك الواحد ، ان اصحاب هذه الدراسات لم ينتبهوا الى أى شكل من الفروق الريفية ــ الحضرية انما هو نتاج لنسق ثقافى معين . ومن ثم فان الفروق الريفية ــ الحضرية يمكن ان تختلف اختلافا واسعا من ثقافة لأخرى (٣٣) كما انه لابد على المشتغلين بهذه القضية من التسليم بأن المجتمعات الريفية والحضرية انساق فرعية داخل كل اكبر كالدول والأمم . لأن التسليم بهذه القضية والايمان بها يساعد على تحليل الأنماط الريفية والحضرية تحليلا دقيقا وصادقا . وينبنى على الاعتراف بهذه القضية أن المجتمع الحضرى والمجتمع الريفى المقابل لـــه ليسا وحدات ميكروسكوبية ممثـــله للمجتمع الأكثـــر شمولا واتساعا . (٣٤)

فالتناول السليم لقضية الفروق الريفية ــ الحضرية يحتم ــ طبقا لهذا المنظور ــ ان يؤخذ المجتمع الأكبر فى الاعتبار عند تحليل هذه الفروق . ومادام الأمر كذلك ، فانه يتعين عند تناول هذه القضية أيضا الانتباه الى الدور الخطير الذى أخذت تلعبه وسائل الاتصال الحديثة ، والتى ترتب على

---

(٣٣) جوبرج ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

(٣٤) المرجع السابق ، ص ٦٦ .

انتشـــــارها وتقدمها ما يعرف بالثقافة الجماهيرية (Massa Culture) التى تجعل ابناء المجتمع الكبير شركاء فى ثقافة كبرى واحدة وان تعددت انتماء الاقليمية وثقافتهم الفرعية (٣٥) .

ولقد فسر بعض المهتمين بقضية الفروق الريفية ــ الحضرية ، ذلك الخلط والاضطراب الذى يقع فيه اغرب الباحثين عندما يتناولون هذا الموضوع فسره بأنه « يأتى كنتيجة للفشل فى التمييز بين تأثير حجم وكثافة السكان على افعال الانسان من جهة ، وبين تأثير الثقافة من جهة اخرى . وعلى الرغم من أن هاتين الفئتين من التأثيرات لايمكن الفصل بينهما ، فانه يجب التمييز بينهما اذا كان بالامكان الوقوف على طبيعة المجتمعات المحليـــة وادراكها بوضوح » (٣٦) .

اذن فان الأمر يقتضى الأخذ بالمدخل الثقافى فى دراسة هذه القضية . ومما يدعم من هذه الوجهة من النظر ، أن كثيرا من الدراسات والبحوث الحديثة التى أجريت مؤخرا فى عدد من المجتمعات فى دول جنوب شرق آسيا، والهند ، وعدد من دول أوروبا كألمانيا الغربية ، وسويسرا ، فضلا عن بعض دول أوروبا الشرقية كيوغوسلافيا ، هذه الدراسات قد كشفت عن أهمية الدور الذى تلعبه بحوث التغير الثقافى فى خدمة قضية الفروق الريفية ــ الحضرية . فقد كشفت هذه الدراسات عن كثيرا من الحقائق الواقعية التى يتعين أمامها مراجعة المقولات النظرية التى كثيرا ما رددها السوسيولوجيون وتوارثوها فيما يتعلق بقضية الفروق الريفية ــ الحضرية .

وأمام هذه الحقيقة ، فانه يصبح بوسعنا أن نقول انه بالامكان تناول هذه القضية من منظور جديد ، يأخذ بهذا المدخل الثقافى كمنطلق للدراسة.

---

(٣٥) J.M. Halpern and B.K. Halpern ; **A Serbian Village in Historical Persective**, Holt, Rinehart and Winston, N.Y., 1972.

وانظر ايضا لمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة :

ريتشارد دورسون ، نظريات الفولكلور المعاصرة ، ترجمة وتقديم الدكتور محمد الجوهرى والدكتور حسن الشامى ، دار الكتب الجامعية ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، خاصـــة ص ١٤٨ وما بعدهـــا .

(٣٦) Richard Dewey, op. cit. p. 63.

ويقوم هذا المدخل على الافادة من علم الفولكلور فى خدمة الدراسة السوسيو لوجية ، حيث يلتقى هذان العلمان الشقيقان من اسرة العلوم الاجتماعية على مسرح واحد يجمعهما معا . وهناك كثير من المجالات التى تحقق هذا الالتقاء . من ذلك مثلا ، دراسة الفروق الريفية ــ الحضرية فى بعض عناصر التراث الشعبى . وهذه القضية هى بالتحديد موضع رسالة الدكتوراه التى يعدها الأستاذ حسن الخولى مدرس علم الاجتماع المساعد بكلية البنات بجامعة عين شمس ، والتى ستنقلنا نتائجها خطوة ابعد الى الأمام على طريق فهم جوانب هذا الموضوع الهام من موضوعات علم الاجتماع.